الدكتور شفيق عبد الرازق أبو سعدة

الطب في الشعر العربي

حتى القرن التاسع الهجري

١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م



مقدمـــة البحـث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هـو يطعمنى ويسـقين ، واذا مرضت فهـو يشـفين ، والذى يميتنـى ثـم يحـيين ، والـذى أطمـع أن يغفـر لـى خطيئتى يوم الدين(١) والشكر لله ، القـائل : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين »(٢) والقائل : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشـون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »(٣) والصلاة والسلام على البشير النـذير . سـيدنا محمد القـائل : « تداووا عبـاد الله ، فان الله عز وجـل لم ينزل داء الا أنزل له شـفاء ، علمـه من علمـه ، وجهـله من جهله » (٤) .

وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعـــد :

---

(١) سورة الشعراء : الآيات : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

(٢) سورة الاسراء : الآية : ٨٢ .

(٣) سورة النحل : الآية ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) اخرجه البخارى (١١٣/١٠) واخرجه مسلم (٢٢٠٤) وابن ماجـة (٣٤٣٩) وأحمـد (٢٧٨/٤) وابـو داود (٣٨٥٥) والترمذى (٢٠٣٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

فقـد نبتت فى نفسى فكـرة هـــذا البحث « الطب فى الشعر العربى » منذ أن عقلت قول الفرزدق :

أنا القطران والشعراء جـربى

وفى القطـران للجـربى شـــفاء

وقول الأخطـل :

فـان تـــك زق زاملـــة فانــى

أنـا الطاعـون ليس لـه شـــفاء (٥)

اذ كان هـذا البيتان بمثـابة الشرارة التى انقـدح لها زناد فكرى ٠٠ وانتهزت الفرصة فاندفعت بكل طاقتى فى طريق هذا الموضوع ٠ لمـا وجدت ساحـــة الدراسات الأدبيـة ملأى الوفاض الا من مثـله ٠٠ وكأن البـاحثين نسوه أو تناسوه ٠ فانكب يبكى حظـــه العاثر ؛ ولعـــل ما تقرر لدى الدارسين من بعد الشقة بين عالم الشـــعر وميدان الطب كان من أسباب هذا النسيان أو التناسى ، الذى تنوسيت فى غمرته التجارب الشـعورية المنبثقة من الساحة الطبيـــة ، وأثر الأدواء فى المرضى والشـــعراء والأطبـــاء ، ولا ينبغى لمعترض الاعتراض بأمثـــال : « تاريخ الحكماء للقفطى » و « تاريخ حكماء الاســـلام للبيهقى » و « عيون الأنبـاء فى طبقـــات الأطباء لابن أبى أصيبعة » لعناية هـــذه المؤلفـــات بالتأريخ للطب العربى ، والتـرجمة لأعلامه ، وعـزوفها عن الاحتفـال بالدراسات الأدبية فى هذا المجال ٠

---

(٥) ديوان الأخطل ، بتحقيق : فخر الدين قبـــاوة (ط/٢) ج ١ ص ٢٥٨ وغـيره ٠

والذين ذكروا الطب فى اشارات خاطفة من أصحاب الأمهات الأدبية ، كابن قتيبة فى « عيون الأخبار » و « أدب الكاتب » والراغب الأصبهانى فى « محاضرات الأدباء » وأبى هلال العسكرى فى « ديوان المعانى » فان اشارتهم لم تتعد الشذرات · التى لا تنقع غلة الصادى ، ولا تشبع النهم ، فضلا عن دورانها حول أبيات وأقوال محدودة ، تدور معظمها فى سائر هذه المصادر · مما كان حافزا لى على المضى قدما فى هذا البحث · وقد أذكت هذا الحافز فى نفسى رغبة أكيدة فى محاولة اثبات التفوق الثقافى عند الشاعر العربى ، وضربه فى ميادين ليست له بالضرورة ، كميدان الطب ·

واستيعاب الشعر العربى لكل الأنماط الثقافية ، وان كانت طبية ، والتجارب الشعورية المتنوعة ·

ليكون الشعر فى النهاية شاهد عدل على أن الطب العربى كان قد شب عن الطوق باكرا · على أنه ينبغى الاحتفاء بهذا الميدان ، لما يزخر به من أبعاد انسانية ، وعواطف متدفقة ، وأحاسيس نبيلة ، وتجاريب متباينة ، فى مرارتها أو حلاوتها ، ومثله لذلك كله خليق بالبحث ، حفى بالدرس حقيق بالتنقيب ·· ومن ثم رأيت أن أنهض بهذا العبء ، وأن أكون غواص بحر هذه التجربة ، ومكتشف هذا العالم الذى لفه الغموض واحتواه الابهام ، لكى أعرض على المتلقين شيئا يعد جديدا طريفا ·

واندفعت فى المأزق الصعب ، الذى لم أستطع الانفلات منه ، فكلما ضقت ذرعا ، ردتنى رغبتى فى الظفر بالجديد الطريف ، وتطلعى الى اثراء مكتبة الدراسات الأدبية بنموذج من البحث الأدبى طالما افتقدته ··

وأشهد أننى عانيت الأمرين ، وبلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين لصعوبة السير فى مهـــامه الموضـــوع ، وتوعر قفاره ، فالسابقون لم يفتحوا ميدانه ، ولم يغـزوا ساحته بأقلامهم وأفكارهم ، فبقيت ساحته لذلك مطمورة، وأصبح على الباحث فى هذه اللجة أن يتسلح بالصـــبر والجلد والدأب ، وأن يتحمل المشاق ، لأن ركبه بلا حاد ، وسفينه بلا مرشد ٠٠

ولم يكن أمامى الا الغوص فى عبـــاب الأمهـــات وبطون الدواوين ، وتقليب صحائفها بحثـا وراء بيت شعرى أو أبيات تقوم عليها أود فـكرة ٠٠

وفى خضم المراجـع تلتقط العين درة غواص ، تثلج الصدر ، وتحفز الهمة ٠٠ ان ما عانيته جعلنى أوقن مـا حسبته ميسرا سهلا هو فى الحقيقة أمر مضن ممض ، وأن الطريق اليه ليس معبدا كما تصورت ، وأن جدوله الرقراق يشف ماؤه الصافى عن حصبائه ، ولم يـدر بخلدى أنـه محيط تصطرع فيـه الأمـواج ٠٠ ولا تعجب ! فحسبك أن تعـــرف أننى كنت أطـــوف ببعض الأســـفار ، وأمضى الساعات أقلب صفحاتها ، فلا أجد شيئا البتة ، يصـلح للنهوض بالموضوع ، وبعضها تسخو يداه ببيت أو أبيات، تجعلنى أطير بهـا فرحا وطـــربا ، حتى حدثتنى النفس مرارا برغبتها فى التخلص من هذا الأسر ، الا أن الأمل القابع فى أعماقى كان دائما ما يهتف بى ويدفعنى الى المضى فى الطريق ٠

ومازلت على هذه الشاكلة حتى اجتمعت لدى مـادة شعرية ليست بالقليلة ، فدرســـتها وصنفتها وحللتها فى ضوء العلم والذوق معا ، ساعيا الى اتمام ملامح البحث فى الاطار اللائق ٠

وأحيط المتلقى خبرا بأن مواضيع هذا البحث قـــد انبثقت وأينعت ودنى جناها فى حقل الشعر ··

وقد بنيت الموضوع بعد هذه المقدمة من تسعـــة مبــاحث وخاتمــة ·

انتظم المبحث الأول : « مفهوم الطب » فقـــرره فى ضوء اللغة والأدب ، وتتبع أطواره ، وتحليق الخيـــال الشعرى فى آفاق المدلول الطبى ·

وتناول المبحث الثانى : « الطب العربى فى ضـــوء التاريخ وحقائق الأدب » فعنى بالكشف عن هـــذا الطب ووسائله العلاجية ، وصورته فى كل مرحلة ، ـ من خـلال نماذج الشعر ـ بدءا بالجاهلية وانتهاء بالدولة المملوكية، ومرورا بينهما بعصر صدر الاسلام والدولتين : الأمويــة والعباســية ·

وتعرض المبحث الثــالث : « فى مواجهـــة الأدواء وأبعادها النفسية» للناس حيال المرض ، سواء منهم البرم الضائق أم المكابر المتماسك ، وأبان عن جدية الشـــعر ودقته فى التقاط هاتين الظاهرتين ، حيث فاضت نفــس الأول الممزقة بأساها على صدر القوافى ، فى تجـــارب انسانية تفجر عيون الشفقة ، وتحلى الثانى بمســـوح الجلد ، فـراح يتألم بدون أنين ·· كذلك صـــور المبحث احســاس المرضى ازاء تاثيــر أدوائهم على أهليهم وذوى قرباهم ، والتفـــاعل الوجدانى بين المرضى وذويهم ؛ وكشف عن البعد النفسى للأصحاء الذين تمنوا المرض ·

ودار المبحث الرابع حـول : « موقف الشـعراء من الأدواء » فى ايجابيته وسلبيتـــه ، وبواعث كل وجهـــة

وأبعادها ، ومدى التجاوب الوجدانى بين الشـــعراء والمرضى ، وتأكيد معنى الانسـانية عند الشـعراء حين قيامهم بدور أطباء النفوس ، ومعنى غلظة الأكبـاد حين التشفى أو الازدراء .

وأفصـح المبحث الخامس عن : « مواقف المرضى من الطب والأطباء » سواء منهـا المألوفة أم غير المألوفة ، وأسبابها ، والتداوى بغير الطب المعهود ، واســتيلاء اليأس على قلوب بعض المرضى ، وتسرب هـذا اليـأس الى قلوب بعض الأطباء ، والأمراض المستعصية ، وذيوع أمراض البعض وجريانها مجرى الأمثال .

وكشف المبحث الســادس : « موقف الشــعراء من الأطباء وأثره فى رواد الطب » عن تعرض الشــعراء للأطباء بالمدح أو الهجاء ، وبواعثهما ، والمعــانى التى دارا فى فلكها ، واعتدالها ومبالغتها ، وظاهرة الجمع بين المدح والهجو فى قصيدة واحدة ، ورصد المبحث أثـر ذلك على رواد الحركة الطبية ، وانبلاج الاحســـاس بالذات عندهم .

ونقب المبحث السابع عن : « الملامح الطبيــة فى الشعر العربى » فأظهر مواكبة الحركة الشعرية للحركـة الطبية ، ومدى توفرها على الابداع الفنى ، أو بعدهـا عن مرماه ، والميادين الطبية التى جرى فى مضمارهـا فرسان الشعر ، ومدى التوافق بين الطب ـ كعلم وحكمة ـ والشعر ـ كالهام وابداع .

وتمثل المبحث الثامن فى : « عيادة المرضى والتهنئة بالشفاء » فأبرز آداب العيادة ، وبعث الأمـل فى المريض وتبشيرة بالبرء ، والبعد عن الخوض فيما يدخل اليـأس

على قلب المريض ؛ وما يتجشم الناس من صعاب فى سبيل العيادة : وأثر الاحجام عنها ، وأطلعنا المبحث على عجائب لطائف فى ميدان العيادة ، وكشف عن التهنئة بالشفاء ٠

وأبرز المبحث التاسع : « انتزاع الصور الأدبية والحكم فى ميدان الطب » محاكاة التصوير الأدبى للصور الطبية ، وحرص الشعراء على اصطياد الأفكار والصور من حقل الطب ، ومدى اعجاب النقاد بها ، وميادين هذه الصورة ووقعها ، وجرى الشعراء وراء الطرائف البديعية ، واحسانهم فى الحكم المنتزعة من ميدان الطب ، واشتمالها على نظرات تأملية وأبعاد فلسفية ، وأفصح المبحث عن ظاهرة التأثر والتأثير فى هذا المجال ٠٠ وضمت الخاتمة أهم نتائج البحث ٠

وبعد :

فلقد وجدت فى أقامتى مع أولائكم النماذج البشرية سلوى روحية ، ولذة عقلية فائقة ، وألما ممضا ٠٠ وكنت لذلك أشفق من سلوك أقصر الطرق وأسهلها ، لكن المرضى ـ حفظك الله من كل سوء ـ وقد مستهم يد البرء فتماثلوا للشفاء ، أذنوا لى بالانصراف ، ففارقتهم داعيا ، وغادرتهم متمنيا ، وكانت معالم تجربتى قد تمت ، وخيوط بحثى قد نسجت ٠

وانى لأرجو أن أكون قد وفقت الى الافصاح عن وجه هذا الشعر وسماته ، وأن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد أسهمت بنصيب فى خدمة آدابنا العربية ، وأضافت لبنة فى صرح الدراسات الأدبية ٠

والأمل معقـــود فى أن أكون قد دنوت من مرافىء الصواب ، وجلوت جانبا مما اكتنفه الضـــباب ، ورويت ظمأ الصادى ، وعلالة المشـــوق ٠٠ وحسبى أنى حاولت وأقدمت ، ومهدت الطريق ونبهت ٠

والله من وراء القصد ، « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » (١) ٠

الدكتـــور
شفيق عبد الرازق محمد السعيد أبو سعدة

---

(١) سورة هود : الآية : ٨٨ ٠

المبحث الأول

مفهـــوم الطـب

مفهـــوم الطـب

قال بعض الحكماء : العلوم ثلاثة : علم يرفع ، وعلم ينفع ، وعلم يزين : فالرافع : العلم الشرعى ، والنافع : الطب ، والمزين : الأدب (١) ٠

فالطب : فرع من فروع العلم ، وهو باجماع اللغويين والمتأدبين : علاج الجسم والنفس ٠

والطبيب أو الطب (بتشديد الطاء وفتحها) : هـو العالم بالطب (بتشديد الطاء وكسرهـا) ، والمتطبب : الذى يتعاطى علم الطب - وليس بطبيب حقيقى - (*)

والطب - بالتشـــديد والفتـــح - والطب - بالتشـــديد والضم - : لغتان فى الطب :

---

(١) الكنز المدفون فى الفلك المشحون ٠ لجلال الدين السيوطى، الطبعة الرابعة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م طبعة الحلبى بمصر ، ص ٣ ٠

(*) يؤيد ذلك يزيد بن الطثرية الشـاعر الاموى المتوفى يـوم الفلج ، الذى كان لبنى عامر - قوم الشـاعر - على بنى حنيفـة ، فى النصف الثانى من سنة ١٢٦ هـ ٧٤٤ م ، حيث يقول :

فهبنى امـرءا اما بريئـا علمتـه
واما مســيئا تاب عنـــه واعتبـــا
وكنت كـذى داء تبغـــى لدائـــه
طبيبـا فلمـا لم يجـــده تطببـــا

ص ٩٥ مختار العقد الفريد لابن عبد ربه ، تصحيح ومراجعـة الأستاذ محمد محمود ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م المكـتبة المحمودية التجارية بمصر ٠

ويؤيده الحسـين بن على الطغرائى صـاحب لاميـة العجـم ، المولود فى أصفهان سنة ٤٥٣ هـ ١٠٦١ م والمتوفى سنة ٥١٥ هـ ١١٢١م٠ حيث يقول مصورا كيد الثعلب للذئب عند الأسد :

وفى المثـــل : ان كـنت ذا طـــب ـ بتثليث الطـــاء ـ فطب لعينيـك : أو : لنفســك ؛ و « من أحب طب »(*)

وقال الكلابى : اعمل فى هذا عمل من طب لمن حب :

وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فرأى بين كتفيه خاتم النبوة فقال : ان أذنت لى عالجتها فـانى طبيب ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :« طبيبهـــا الــذى خلقهــا » .

وكل حاذق طبيب عنـــد العـــرب ، قال المــرار بن سعيد الفقعسى :

يدين لمزرور الى جنب حلقـــة

من الشـبه سواها برفق طبيبهـــا (*)

ويقال : فلان يستطب لدائه . أى يستوصف الـدواء أيه يصلح لدائه .

فلمــا أحس الثعلبـــان بكـــيده

تطبب عند الليث واحتـــال مقدما

وقال : أرى بالملك داء مماطـــلا

تهـدم منـــه جسـمه وتحطمها

وفى كبـد الذئب الشـــفاء لدائه

فان نال منهـــا ينـج منـه مسلمـــا

من كتاب : الحيوان فى الأدب العربى ، لشاكر هادى شاكر ، الطبعة الأولى ج ١ ص ٢٥٩ . ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م مكتبة النهضـــة العربية ـ بيروت .

(*) أى تأنى للأمور وتلطف .

(*) يدين : يطيع . المزوور : الزمام المربوط بالبـرة . أى : يطيع هذه الناقةزمامها المربوط الى برة أنفها .

فالطب والطبيب : الحـــاذق من الرجال ، الماهـــر بعلمه . أنشد ثعلب فى صفة غراسة نخل : « جاءت على غرس طبيب ماهر » .

وكل حاذق بعمله عند العرب طبيب ، وبه ســـمى الطبيب الذى يعالج المرضى .

والطب (مثلثه الطاء) : السحر ، قال ابن الأسلت :

ألا من مبلـــغ حســـــان عنـــى

أطـــب كـــان داؤك أم جنـــون ؟

ورواه سيبويه : أســـحر كان طبــك ؟ ، والمطبوب : المسحور (*) ؛ وقال أبو عبيدة : انما سمى السحر طبــا على التفاؤل بالبرء ، ومن ذلك قولهم فى اللديغ : سليم، وفى الصحراء المهلكة مفازة ، تفاؤلا بالفوز والسلامـــة . والكلمة « الطب » تطلق على العادة والشـأن والمذهب ، ومن ذلك قولك : ماذاك بطبى ، أى بدهـــرى وعادتى وشأنى ، قال الشاعر (فروة بن مسيك المرادى) :

فـــان نغلب فغلابـــون قدمـــــــا

وان نغلب فغـــير مغلبينــــــــا

(*) من ذلك ما ذكره ابو عبيد فى كتاب « غريب الحديث » له باسناده ، عن عبد الرحمن بن ابى ليلى ، ان النبى صلى الله عليه وسلم احتجم على رأسه بقرن حين طب قال أبو عبيد : معنى طب ـ بضم الطاء ـ : اى سحر . ص ١٢٥ ج ٤ زاد المعاد لابن قيم الجوزية . تحقيق : شعيب وعبد القادر الارنؤوط ، الطبعـــة الثامنـــة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ مكتبة المنار الاسلامية ـ الكويت .

وما ان طبنـــا جــبن ولــــكن

منــايانا ودولـــة آخـرينـــــا

كذاك الدهـــر دولتـه سجـــال

تكــر صروفـــه حينـــا فحينـــا

ومنه قول جرير الخطفى حين تمنعت عليه أمامة ـ الجارية التى أهداها اليه الحجاج الثقفى ـ :

ان كــان طبـــكم الــدلال فانـــه

حســن دلالــك يا أمــام جميـــل (*)

وقول المتنبى :

وما التيــه طبى فيهــم غــير أننى

بغيض الى الجاهل المتعاقل (٢)

وأصل الطب : الحذق بالأشياء والمهارة فيها ، وان كان فى غير عــــلاج المرضى ، فرجل طب ـ بالفتح ـ أى عالم ، وفحل طب ، أى ماهر بالضراب .

(*) يقول المبرد فى الكامل : « بنصب الطب ورفــع الدلال ، وبالعكس ، برفــع الطب ونصب الدلال . والطب هنـــا : المذهب ، والدلال : الدالة ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ جـ ٢ بتحقيق محمد ابى الفضـــل ابراهيم ، طبعة دارنهضة مصر .

(٢) ديوان المتبنى بشرح البرقوقى ، طبعــة بيروت ١٩٨٠ ، جـ ٣ ص ٢٣٧ .

قال عنترة العبسى :

ان تغـدـ فى دونى القناع فاننى

طــب بأخذ الفارس المســتلئم

وقال علقمة (*) :

فان تســألونى بالنســاء فاننى
بصير بأدواء النســاء طبيب (٣)

ومن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

فأتتهــا طبــة عالمــة
تمــزج الجـد مــرارا باللعب

تغلظ القــول اذا لانـت لهــا

وتراخى عند سورات الغضب(٤)

---

(٣) انظر : مادة « طبب » فى لسان العرب لابن منظور المصرى ج ١ ص ٥٥٣ وما بعدها ، طبعة : دار صـادر بيروت ٠ والصــحاح للجوهرى ٠ بتحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، المجلد الأول ص ١٧٠ وما بعدها ، الطبعة الثانيــة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ٠ والقاموس المحيط للفيروز بادى بتحقيق : مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرســالة – بيروت – ص ١٣٩ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م ١٤٠٦هـ ٠

(*) أى علقمــة بن عبده التميمى ، الملقب بعلقمة الفحل ، الشاعر الجاهلى الذى كان عصرى امرىء القيس ٠

(٤) « قيل : ان ابن عتيق لمــا سمع ذلك قال لعمر : ما احوج المسلمين الى خليفة يدير أمرهم مثل قوادتك هذه « الغيث المســجم فى شرح لامية العجم للصــفدى ٣٩١/١ الطبعة الأولى – بيروت – ١٩٧٥م والبيتان فى كتاب الحيوان للجاحظ ١٦٩/١ ٠

بيد أن كلمة « الطب » ـ وان وفت بكل هذه المعانى ونهضت بها ـ قـد جنحت الى الدلالة على العالم بالطب المعالج أمراض الناس الجسـمية والنفسـية ، يؤيد ذلك أسـماء بن خارجـة بن حصـن بن حذيفـة ـ وهو من المخضرمين ـ حيث يقول :

انـى أسـائل كـل ذى طـب
مـاذا دواء صـبابة الصـب ؟

ودواء عـاذلـة تبـاكـرنى
جعلت عتـابى أوجـب النحب

أو ليس من عجـب أسـائلكم
مـا خطب عاذلتي وما خطبى؟!

أبهـا ذهـاب العقـل أم عتبت
فأزيدها عتبـا على عتب (٥)

ومعقل بن ريحان فى قوله :

بأوتهم وقـد حبنـوا فصـحوا
وقد يشفى من الداء الطبيب (٦)

---

(٥) الأصمعيات : لأبى سعيد عبد الملك بن قريب (الأصمعى) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعـارف بمصر ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م ، ص ٤٨ وما بعدها ، معنى النحب : النذر ..

(٦) ذيل الامالى والنوادر لأبى على القالى ، طبعة بيروت ، ص ٦٠ والمعنى : عالجتهم حتى انقادوا .

وعريقة بن مسافع العبسى - وهو من شعراء الاسلام - وذلك حيث يقول :

تقول سليمى : ما لجسمك شاحبا
كأنك يحميك الشراب طبيب (٧)

ومما يؤيد ذلك أيضا قول جرير :

غمز ابن مرة يافرزدق كينها
غمز الطبيب نغانغ المعذور (٨)

وقوله :

سأترك للزوار هندا وأبتغى
طبيبا فيغنينى شفاء لمابيا (٩)

ومن ثم فالطب حفظ الصحة ووقاية الأصحاء ، وعلاج العلل والأدواء ..

والطبيب يجمع جمع قلة على أطبة ، وكثرة على أطباء ..

---

(٧) الأصمعيات ص ٩٨ .

(٨) المعذور : المصاب بداء العذرة ، وهو : وجع الحلق ، واكثر ما يعترى الصبيان .. ادب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق : محمد الدالى ، طبعة : مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٥م ص ١٤١ .

(٩) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحقيق : د/ نعمان محمد امين طه ، طبعة دار المعارف بمصر ج ٢ ص ١٠٥٠ .

والعـرب يطلقون « النطاسى » على الطبيب ، قال أوس بن حجر :

فهـل لكـم فيمـا الى فاننى
طبيب بما أعيا النطاسى حذيما(١٠)

كمـا يطلقون على الطبيب المداوى « الآسى » وعلى الدواء « الاساء ، يقول الحطيئة :

هـم الآســون أم الـرأس لمـا
تواكلها الأطبــة والاســاء

ويقول :

لمـا بدالى منكم غيب أنفســكم
ولـم يكن لجراحى فيكم آســى

أزمعت يأسـا مبينا من نوالكـم
ولا تـرى طـاردا للحـر كالياس

ويقول الفرزدق يصف شجة :

اذا نظـر الآســون فيهـا تقلبت
حماليقهم من هــول أنيابها العصــل (١١)

كذلك يطلقون « العراف » على الطبيب ، فقد جـاء

---

(١٠) اراد ابن حذيم الطبيب العــربى الذى ضرب به المثل ، فقيل : اطب من ابن حذيم ٠ المستقصى فى امثال العرب للزمخشرى، الطبعة الثانية ١٩٧٧م – بيروت – ج ١ ص ٢٢٠ ٠

(١١) الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٨٩ – ١٩١ ٠

فى لسان العرب « يقال للحازى ـ الذى يدعى علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه ـ عراف ، وللطبيب عراف ، لمعرفة كل بعلمه ، والعراف الكاهن ، قال عروة بن حزام :

فقلت لعراف اليمامةداونى
فانك ان داويتنى لطبيب (١٢)

ثم أنبأنا الغوص فى بطون الكتب واستقراء التاريخ الأدبى أن العصر العباسى الثانى قد شهد ميلاد اطلاق جديد على الطبيب هو « الحكيم » وقد تكون له جذور أموية وليس فى هذا الاطلاق غرابة لدقة الشبه وقرب الصلة بين الطبيب والحكيم ، ولعل هذا الاطلاق بقى فى ألسنة بعض الناس الى يومنا هذا ، فقد أطلقه ظهير الدين « البيهقى » المتوفى فى حدود سنة أربعمائة للهجرة على كتابه الذى ترجم فيه وأرخ لأطباء الاسلام ، حيث جعل عنوانه « تاريخ حكماء الاسلام » واطلاق « الحكيم » على توما بن ابراهيم الطبيب الشوبكى ، الذى اختصر مسائل حنين ، والذى مات فى سنة ٧٢٤هـ ، فهو المعنى بقول القائل : « قال حمار الحكيم توما » (١٣) .

---

(١٢) لسان العرب جـ ٢ ص ٧٤٦ ، والحيوان للجاحظ ، بتحقيق : عبد السلام هارون ٦٣/١ .

(١٣) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م ، ص ٦٣ ـ وهذا شطر بيت بقيته كما نقلها صاحب « الحيوان فى الأدب العربى » ٣١٣/١ عن نهاية الأرب للنويرى :

لو انصفونى لكنت اركب
لاننى جاهل بسيط
وصاحبى جاهل مركب

ولعل مما يؤيد هذا الاطلاق مـا جـاء على لســان صلاح الدين الصفدى فى ملازمة الرقيب :

أنا والحب ما خلـونا ولا طـر
فـة عيـن الا علينـا رقيـب

مـا اجتمعنا بحيث ان لم يمكن الده
ر بأنـى أقــول أنـت الحبيـب

بل خلونا بقـدر مـا قلـت أنـت الـ
ـحـ فوافى فقلت كيـم الطبيب (١٤)

وهكذا شفت هذه السطور عن مدلول كلمة « الطب » والمعانى التى نهضت بها ، وتفاعلها المعنوى مع غيرها من كلمات ، ومرادفة غيرها لهـا وقيامها بوظيفتها .. وهنـا تجـدر الاشــارة الى أن الطب ليس قاصرا على الانسان فحسب ، وانما « هناك فرع من الدراسات يمت بصلة وثيقة الى الطب ، ونعنى به عـلم البيطرة » (١٥) أى بيطـرة الدواب ، يقول حميد الأرقط واصفا حوافـر فرســه :

لارجـح فيهـا ولا اضـطرار
ولم يقـلم أرضها البيطار (١٦)

---

(١٤) الغيث السجم ١/٣٩٤ .

(١٥) دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية : محمـد ثابت الفندى وآخرون ، طبعة : دار المعـارف - بيروت - ٦١/١٥

(١٦) الكامل للمبرد ١١٠/٣ ، والرجح : انبسـاط الحافر فى رقة ، والاضطرار : ضيقه وصغره ، وكلاهما مذموم فى الخيل ..

ويقول مالك بن نويرة فى صيانة فرسه :

داويتـه كـل الـدواء وزدتـه
بذلا كما يعطى المحب الموسـع

ويقول يزيد بن خذاق العبدى :

فداويتها حتى شـتت حبشـية
كأن عليها سندسا وسدوسا (١٧)

ومن الجدير بالذكر أن الشـعراء قد تلفتت قلوبهم الى الطب وخصـائصـه ، وحلقت أخيلتهم فى آفاقه ، وطوفت أفكارهم فى ميدانه ، واستعاروا من قاموسـه ألفاظا فى حللها الطبية ، ودبجوا بها أشعارهم ، وغالبا ما كانوا ينقلون المعنى من عالم الحقيقة الى دنيا المجاز ، فهذا جرير يخلع الصحة على بعض الأفكار والسـقم على بعضها الآخر ، فى قوله :

رأى الناس البصـيرة فاسـتقاموا
وبينت المراض من الصحاح (١٨)

والمتنبى يجعل من سيف الدولة طبيبا لعلل الدنيـا وأدوائها ، فى قوله :

وكيف تعلك الدنيـا بشـىء
وأنت لعـلة الدنيـا طبيب

---

(١٧) كتـاب الخيل لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، الطبعـة الهندية ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ص ١٠ ، ١١ .
(١٨) ديوان جرير ٩٠/١ .

وكيف تنوبك الشكوى بداء
وأنت المستغاث لما ينوب (١٩)

وأبو الفتح البستى يمرض الزمان لمرض أخلاق ناسه، فى قوله :

لا تلمنى على اضطراب تراه
فى كتاب أخطه أو قريض

فأعز الأشياء عندى وجودا
صحة القول فى الزمان المريض (٢٠)

ومجير الدين محمد بن تميم الاسعردى (*) يجعل كتابه الذى كاد أن يبلى عليلا ، حيث يقول :

عرضت كتابى كى يباع بدرهم
على مشتر عند الوفاء شحيح

رأى خطه ذا علة فأعاده
ومن يشترى ذا علة بصحيح !؟(٢١)

ويصف ابن زيدون وغيره النسائم بالعليلة لرقتها ولينها ، وذلك فى قوله :

---

(١٩) ديوان المتنبى بشرح البرقوقى طبعة بيروت ١٩٨٠م ، جـ ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢٠) تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ، تحقيق : محمد كرد على، طبعة المجمع العلمى بدمشق ١٩٤٦م ص ٥٠ .

(*) من شعراء الدولة المملوكية (البحرية) توفى سنة ٦٨٤هـ ١٢٨٥م .

(٢١) الغيث المسجم ١٥/١ .

وللنســـيم اعتـــلال فـــى أصـــائله
كأنه رق لى فاعتـــل اشـــفاقا (٢٢)

وأكثر ما أمرض الشعراء من أعضاء المرأة « العين » فرموا الجفـــون أو اللواحظ أو الحدق بالمرض لفتورها وتكسرها ، كما فى قول معاوية بن أبى سفيان :

سرحـــت بطـــالتى وأرحـــت حلمى
وفـــى علـــى تحلمى اعتـــراض

علـــى أنـــى اجتنبت اذا دعتنـــى
الى حاجاتها الحـــدق المراض (٢٣)

وقول حبيب بن أوس - أبى تمام - :

يا ســـقيم الجفون غير ســـقيم
ومـــريب الألحـــاظ غيـــر مـــريب

ان قلبى لكـــم لكـــا لكبـــد الحـــر
ى وقلبى لغيركم كالقلوب (٢٤)

ويقول محمـــد بن عيسى اللخمى ، المعروف « بابن اللبانة » الشاعر الأندلسى :

أديراها علـــى الروض المنـــدى
وحكم الصـــبح فى الظلماء ماض

(٢٢) قلائد العقيان لابن خاقان ، الطبعة التونسية ص ٨٠ .
(٢٣) الزهرة لابن داود الأصـــبهانى ، بتحقيق الســـامرائى والقيسى ، طبعة الاردن ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ م ، جـ٢ ص ٥٦٣ .
(٢٤) الزهرة لابن داود ١/٨٩ .

وكأس الـــراح تنظر من حبــاب
تنوب بــه عن الحــدق المــراض

وما غربت نجـــوم الأفـــق لكن
نقلن من السماء الى الرياض (٢٥)

ومن ذلك « قول ابن مطروح المصرى - من شـعراء الدولة الأيوبية - من قصـــيدة فى مـدح السلطان الملك الناصر يوسف عند مسيره الى حلب :

أشـــتكى ســقمى الى أجفـــانه
ومتى يشـــفى ســـقام بســـقم

وقوله :

ورنـــا الــــى بطـــرفه فكـــأنما
أهدى الســـقام لمدنف من مدنف

وقول ظافر الحداد - الاســـكندرى المتوفى ســـنة ٥٢٩هـ - :

مريض لحاظ الطرف لولا جفونه
لما كنت أدرى الســقم كيف يكون

وأصله قول المتنبى :

---

(٢٥) ريحانة الألبـــا وزهرة الحياة الدنيا ، لشـــهاب الدين الخفاجى ، تحقيق : عبد الفتـــاح الحلو ، طبعة الحلبى (الطبعـة الأولى ١٩٦٧م) جـ ٢ ص ٣٨٥ ٠

أعارنـــى ســـقم عينيـــه وحملنـــى
من الهوى ثقل مـــا تجوى مآزره(٢٦)

هذا الى جانب ما تحقق لدى الشـــعراء من حقائق طبية نقلتها أشـــعارهم ، ومن صـــور أدبية استوحاها الشعراء من عالم الطب ، وتونقوا فى سبكها ، ورصفها ، وغيـــر هذه وتلك مما يضـــطلع هذا البحث بابانتـــه والافصاح عنه فى صحائفه المقبلة ان شاء الله ..

---

(٢٦) ريحانة الألبا للشهاب الخفاجى ٢٠/١ .

المبحث الثاني

الطب العربى

فى ضوء التاريخ وحقائق الأدب

الطب العربى

فى ضوء التاريخ وحقائق الأدب

الطب الذى هو : « معرفة الداء وتلقيه بالدواء »(١) ثمرة الهام من الخالق العظيم ـ جل وعلا ـ للانسان ، ليعلمه وقاية ذاته ، وحماية جسده ونفسه ، لقصور عقل الانسان عن ادراك مثل هذا العلم الجليل ، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تداوو اعباد الله فان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل معه شفاء ألا الموت والهرم ، علمه من علمه وجهله من جهله » (٢) .

ثم كان للتجارب والملحوظات الدقيقة التى تجمعت لدى الانسان الأثر فى بلورة المبادىء الطبية ، التى اختلطت فيها المعرفة الطبية والشوائب العقدية من شعوذة وطقوس وما اليهما ..

ولا ريب أن هذا الخلط كان السمة العامة للطب البدائى فى أماكن نشأته ، التى « تنحصر فى : مصر والعراق واليونان والصين » (٣) حتى تطور تدريجيا الى الطب العلمى ..

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهانى ، طبعة بيروت ، جـ١ ص ٤٢٦ .

(٢) هذا الحديث حسن صحيح ، رواه البخارى فى صحيحه ـ فى الطب ـ (١٣٤/١٠ فتح البارى ، الطبعة السلفية) ورواه مسلم فى صحيحه جـ ٤ ص ١٧٢٩ ، ورواه أحمد فى مسنده ، بلفظه ومعناه، عن أسامة عن شريك جـ ٤ ص ٢٧٨ ، والترمذى فى باب ما جاء فى الدواء والحث عليه ، ٢٥٨/٣ ، وأبو داود والبيهقى وغيرهم .

(٣) لمحات عن التراث الطبى العربى ، د : محمد مرسى عرب ، طبعة الاسكندرية ١٩٧٥م ص ١ .

وقد حاز العرب فى ميـدان الطب شـــهرة عظيمة ومكانة مرموقة ، اذ كانوا وهم أهـل بداوة وفطرة على درجة من الالمام بالطب ، المتكىء على التجربة المستوحاة من الأجداد ، أو المقتبس من الأمم المجاورة لهم كاليونان والفرس والهند ، وليس أدل على ذلك من الكلدانيين ـ وهم من العرب ـ فقد كانوا يمارسـون ألوانا من الطب يختلط فيها السحر بالشـــعوذة ، بالعـــلاج المبنى على التجربة ، وقد نقـل عنهم اليـــونان جميع معـــارفهم الطبية (٤) كان الجاهليون اذن يمارسـون الطب وقاية وعلاجا ، وكانوا يلمون بجانب من المعارف الطبية التى كانت مزيجـــا من الطب والكهانة والعلاج بالوســـائل الأولية ...

ومن الطرق المألوفة فى العـــلاج عند الجاهليين : الكى بالنار ، وبتر الأعضاء بالشفار المحماة ، والتداوى بشراب العســل وعصارات بعض العقـــارات النباتية ، مضافا اليها بعض القرون والعظام أو الأملاح والبخور ، ومعـالجة الحـــول بادامة النظر الى حجـــر الرحى فى دورانه ، كذلك كان للطب العلاجى عندهم طريق آخر هو طريق الكهنة والعرافين ، الذين كانوا يداوون بالتعاويذ والرقى والتمـائم والأقوال المأثورة ، كمـا كان السـحر والطلاسم من وسائل العلاج الأساسية عنـد الجاهليين ، مصداق ذلك فى المثل العربى : « آخر الدواء الكى » (٥) وفى قول عروة بن حـــزام ، المتوفى نحو ســـنة ثلاثين للهجرة :

---

(٤) من اعلام الطب العربى لأبى الفتوح التوانسى ، ســـلسلة مذاهب وشخصيات ص ٣٢ .

(٥) وقيل : آخر الطب الكى ، وقائله لقمان بن عاد . المستقصى فى أمثال العرب للزمخشرى ٣/١ .

فواكبدا أضـــحت قريحا كأنمـــا
تلذعهـــا بالكى كف طبيب (٦)

وقول النابغة الذبيانى :

فبت كأنى ســـاورتنى ضـــئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع

يسهد من ليل التمـام ســـليمها
لحلى النســـاء فى يـديه قعاقع

وقول زينب بنت فروة المريـة ، الشـاعرة العربيـة وطبيبة بنى أود :

ولو أن أهلـــى يعلمـــون تميمـــة
من الحب تشفى قلدونى التمائما (٨)

ولعل بعض هذه الطـــرق العلاجية عند الجاهليين ترجع الى الصلة بين الطب والعقيدة ، هذه الفكرة التى لم تكن قديمـــا متمثلة فى أذهـان العـــرب الجاهليين

---

(٦) الزهرة لابن داود ٤٦٨/١ (وقد استشهدت بعـروة لقربـه من حياة الجاهليين ، اطلاعه على ما كان يجرى بينهم ، بالمشـاهدة أو الاخبار ، الى جانب بقـــاء آثار هذا النموذج العلاجى فى صـدر الاســـلام) .

(٧) ديوان النابغة . تحقيق : كـــرم البستانى ، دار صـــادر ص ٨٠ ولسان العرب ٦٢٣/٢ . (قعاقع : أصوات) .

(٨) أعلام النساء ، لعمر رضـــا كحالة ، الطبعة الثالثـــة - بيروت - ١٠٣/٢ نقلا عن الأمالى وبلاغات النساء لطيفور .

فحسب ، بل كان لها وجود أيضـــا فى أذهان الأمم التى تحضرت باكـرا فى ميـدان الطب كمصر والعراق ، فقد « اتضح من دراسـة البرديات المصرية والآثار الفرعونية أن ممارســة الطب اختلطت بالعقيدة الدينية ، وامتهن الطب الكهنـــة ، فكـــان المرضـــى يحملون الى المعابد لعلاجهم ، وذلك مرتبط بالفكـــرة الســـائدة لديهم عن أسباب الأمراض ، التى تعود غالبا الى غضب الآلهة أو تأثير الأرواح وتقمصها جسد المريض » ...

وفى بلاد الرلفدين كانت فكرتهم عن الأمراض أنها من فعـل الشـــياطين ، وكان الطب يمارس عندهم فى معاهد الكهنة الأطباء » (٩) .

بيد أنه كان بين العـــرب فى الجـــاهلية عـدد من الحكماء قاموا مقام الأطبـــاء ، يأتى فى مقدمتهم « ابن حذيم التيمى » الذى قال عنـه الزمخشرى : رجـــل من أطباء العرب ، وبه يضرب المثل : « أطب من ابن حذيم» واياه عنى أوس بن حجر فى قوله :

فهـــل لكـــم فيمـــا الـــى فاننى
طبيب بما أعيى النطاسى حذيما(١٠)

والحارث بن كلدة الثقفى ـ وهو من المخضرمين ـ يعد من ألمع المشـــاهير فى عالم الطب ، تعلم فى فارس فى مدرسة « جنديسابور « (*) وكان طبيب العـــرب ،

---

(٩) لمحات عن التراث الطبى العربى ص ٤ ، ٦ .

(١٠) المستقصى فى أمثال العرب ١/٢٢٠ .

(*) جند يسابور : مدينة بخوزستان ، بناها سابور بن اردشير الساسانى ، وفيهـا أسس كسرى أنوشروان ـ ٥٣١ ـ ٥٧٦ ـ معهـدا =

شهد الرسول صلى الله عليه وسلم بطبه ، واستدعاه لعلاج سعد بن أبى وقاص ، وكانت للحارث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة (١١) ، وفد على كسرى ودار بينهما حوار حول صناعة الحارث وحاجة العرب اليها ، فأعجب به كسرى وقال لجلسائه : انى وجدته راجحا ولقومه مادحا ، وبفضيلتهم ناطقا ، وبما يورده من لفظه صادقا ، وكذا العاقل من أحكمته التجارب ، ثم التفت الى الحارث مستفهما ، كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناهيك(*) ، وامتد الحوار الطبى بينهما حتى قال كسرى : لله درك من أعرابى ، لقد أعطيت علما ، وخصصت فطنة وفهما ، وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به (١٢) .

ومن مخضرمى العرافين المشهورين الذين قاموا مقام الأطباء : رياح أبو كلحبة بن عجلة مولى بنى الأعرج الحارث التميمى « عراف اليمامة » والأبلق السعدى « عراف نجد » وفيهما يقول عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيانى (١٣)

=

للدراسات الفلسفية والطبية ،وكان أكثر أساتذته من النصارى النسطوريين، وتخرج فيه عدد كبير من العلماء والفلاسفة كآل بختيشوع ، ويعتبر هذا المعهد من اكبر معاهد العلم فى القرون الوسطى ؛ وقد فتح مدينة جند يسابور عتبة بن غزوان فى خلافة عمر بن الخطاب .

(١١) انظر : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيعة ، تحقيق الدكتور نزار رضا طبعة - بيروت - ص ١٦١ .

(*) أى غاية فيما تطلبه « فى مقام المدح » .

(١٢) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(١٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، الطبعة الأولى - بيروت - ١٩٨٤ م ص ٤١٩ ، ونوادر للقالى ص ١٥٧ .

ومن مخضرمى الأطبــاء : ابن أبى رمثة التميمى ، وكان طبيبا جراحا (١٤) .

من هنا ندرك أن الطب فى الجاهلية توزع بين الطب الروحانى الذى لا يمت الى العــلم والتجربة بصــلة ، والطب التجريبى ، وأن الطب الروحانى قد حمل تبعته العرافون والكهان ، وأنه كان ينهض على الرقى والتعاويذ والتمائم وما أشبهها ، وأن السبب فى وجوده يرجع الى اعتقاد معظم الجاهلين فى أن مصدر الأمراض روحانى لا عضوى ؛ على أن مثل هذا الاعتقاد كان سائدا حتى فى بلاد الحضارات فى هــذا الميــدان ، ففى مصر التى برع أطباؤها القــدامى فى الجــراحة والتحنيط والتشريح ، وعلى رأسهم « امحوتب » الملقب عند المصريين القدامى باله الطب كان الكهنة أرباب الطب ، وكان المرضــى يعالجون فى المعابد ، وكذلك فى بلاد الرافدين كان الطب يمارس فى معاهد الكهنة ؛ وأما الطب التجريبى فقــد نهض به أطباء ، كانوا يعالجون بالكى والنار ، والفصد والحجامة ، وبعض الأعشاب الطبية ، وقد كان بين أطباء العرب الجاهليين من ألم الماما تاما بالطب المعــروف وقتذاك ، كالحارث بن كلدة ، لاطلاعه على حضــارات الأمم المجاورة ، ونهله من ينابيعها الطبية ؛ وهكذا وجد بين أطباء العرب فى الجاهلية من مارسوا الطب القــائم على التجربة العملية ..

وفى ظلال الاسلام ارتقى الطب التجريبى العــلمى فقد دعا الاسلام الى طلب العلم والأخذ بأسباب المعرفة ، وحارب مدعى الطب والسحرة والمشعوذين والكهنة ، روى أبو داود والنسائى وابن ماجة من حديث عمرو بن شعيب

---

(١٤) عيــون الأنبــاء ص ١٧٠ .

عن أبيه عن جده ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » (١٥) أى مأخوذ بما يحدث من ضرر ، وحث الرسول على التداوى وطلب العلاج من أهل المعرفة بأصوله وربط الأسباب بالمسببات ، وفى هذا ما يؤكد أمره عليه الصلاة والسلام بالحفاظ على جسم الانسان وعقله ، وقد سبق الاسلام غيره الى مبادىء الحجر الصحى ، ففى الصحيحين : عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل ، وعلى من كان قبلكم ، فاذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه » (١٦) واهتم المسلمون لهذا كله بالطب المبنى على العلم ، بجانب اهتمامهم بأحكام شريعتهم ، ونبغ منهم فى ساحته أعلام ، كابن كلدة والنضر بن الحارث ، وابن أبى رميثة ، وعبد الملك بن أبجر الكنانى ، الذى يقول : « دع الدواء ما احتمل بدنك الداء » (١٧) .

وجل هؤلاء كان ملما بالطب التجريبى العلمى ، البعيد عن الخرافات ، نتيجة اختلاطهم بالأمم المتحضرة طبيا ، ودراسة بعضهم فى معاهد هذه الأمم الطبية ..

وحفى بالذكر : أن نبوغ المسلمين فى حقل الطب لم يقتصر على الرجال بل كان للنساء دور كبير ، فقد نبغ عدد ليس بالقليل كأم عطية الأنصارية التى كانت تغزو مع الرسول صلى الله عليه وسلم وتداوى الجرحى ،

---

(١٥) زاد المعاد ١٣٥/٤ .

(١٦) أنظر المرجع السابق ٣٧/٤ .

(١٧) عيون الأنباء ١٧١ .

والشفاء بنت عبد الله ، ورفيدة الجراحة ، التى اختارها الرسول عليه الصلاة والسلام لعلاج سعد بن معاذ عندما أصيب برمية فى معركة الخندق (١٨) ٠

من ثم ندرك ان الطب فى صدر الاسلام كان امتدادا للطب فى الجاهلية ، لكن فى صورة جديدة رائعة بعيدة عما كان فى الطب الجاهلى من جهالة وعفن ، كما ندرك ان أهتمام العرب بالطب التجريبى العلمى قد بدأت طلائعه الحقيقية منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

شجع المسلمون وولاتهم بوازع من دينهم الذى ينكر التعصب فى كل صورة ، شجعوا العلماء من كل جنس ، مما أدى الى ظهور عدد كبير من الأطباء ، وسرت كذلك بشائر النهضة العلمية العربية فى ظلال الأمويين ، فهم مع كونهم عربا أقحاحا قد أخذوا بطرق المدنية والحضارة يذكر ابن النديم : أن خالد بن يزيد بن معاوية استدعى بعض فلاسفة الاغريق من مصر ، فترجموا له كتبا كثيرة فى الكيمياء والطب والفلك (١٩) ولذا فقد كاد الطب العربى أن يكون فى أول أمره طبا أعجميا ، ومع ذلك فجهود العرب الطبية فى أحضان بنى أمية ملحوظة ، فقد عرفت ساحة الطب « ابن أثال » طبيب معاوية بن أبى سفيان ، وأبو الحكم الدمشقى ، وابنه الحكم وحفيده عيسى – وله رسالة فى الطب – وابن ماسرجويه الطبيب البصرى فى زمن عمر بن عبد العزيز ، واشتهرت زينب بنت أود فى علاج أمراض العيون ، وقد تغنى بكفاءتها الشعراء ، قال فيها أبو سماك الأسدى :

---

(١٨) انظر : أعلام العرب والمسلمين فى الطب د٠ على عبد الله الدفاع ، الطبعة الاولى – بيروت – ١٩٨٣ م ص ٢٤ ٠

(١٩) الفهرست ص ٤٩٧ طبعة بيروت ١٩٧٨ م ٠

أمخترمي ريب المنون ولم أزر
طبيب بني أود على النأى زينبا (٢٠)

وقد أخذت العناية بالصحة العامة تتزايـــد ، ففى أخبار الطبرى : أن الخليفة الوليد بن عبد الملك فى سنة ٧٠٧ م ـ ٨٨ هـ أمر بعزل المجزومين وأجرى عليهم كمية كبيرة من الطعام ؛ وأن الوليد أنشأ فى نفس السـنة فى دمشق أول مستشفى ..

وفى العصر الذهبى « العباسى » ازدهــر الطب ازدهارا ملحوظا،بسبب حب الخلفاء العباسيين ـ الأوائل ـ وخاصة المنصور والمأمون ، للثقافة ورعايتهم لها ورحابة صدورهم ، وقد اهتموا لذلك بعلوم الأوائل ، ولا سـيما علوم اليونان ، وقد حصلوا بالشراء والاستيلاء أثنــاء الفتوحات على أعداد هائلة من المخطوطات اليونانيـة وغيرها ، وأودعوها بيت الحكمة فى بغـداد ، وأمروا بترجمتها ، فترجمها الى العربية أمهــر المترجمين من أمثال : حنين بن اسحاق الـ عبادى ، وعيسى بن يحيى ، وقسطا بن لوقا ، وعبد الرحمن بن على ، وترجمت بعناية فائقة أعمال أبقراط وجالينوس وديوسقوريدس .

وأضحت اللغــة العــربية لغة الثقــافة والعــلم والدبلوماسية فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، بغض النظر عن الجنس أو العنصر ، وتوفرت للمسلمين أعداد هائلة من التراجم المتقنة لأشهر كتب الفلسفة والعــلوم المختلفة (٢١) .

---

(٢٠) عيون الأنباء ١٧١ - ١٨١ .

(٢١) انظر : الطب العربى للدكتور ادوارد جى براون بترجمة الدكتور داود سليمان على ، طبعة بغداد ١٩٦٤ م ، المحاضرة الاولى ٩ ـ ٣٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ٥٩/١٥ .

وليقين الخلفاء العياسـيين من ضرورة الطب فى المجتمع الذى بلغ فيه الوعى الصحى درجة عالية أنشأوا « البيمارستان » فى بغداد ، وعنـوا بتحسـين وتنظيم المستشفيات - فى الوقت الذى كان فيه الاشتغال بالطب محرما على الأوربيين ، الذين أضاءتهم مشاعل الحضارة العربية من فردوسنا المفقود « الأندلس » .

لقد تعاون المشرق والمغرب العربيان فى ميـادين العلم والفكر والطب ، والحقيقة التى لا مراء فيها : أن الطب الأوربى الحديث مستنبط من الطب العـربى الاسلامى » (٢٢) .

يدل على ازدهار الطب عند العـرب فى العصـر العباسى،أن مدينة بغداد أيام «المقتدر بالله» قد حفلت بعدد كبير من الأطباء ، وقد بلغ فى أحدى السـنوات عـدد المتقدمين لمزاولة تطبيب الناس ثمانمـائة وسـتين طبيبـا (٢٣) .

وقد قام بامتحان هذا العدد الهائل عدد آخـر من أساتذة الطب المجازين من قبل .

وتتمثل آية ازدهار الطب من جهة أخـرى فى : أن هذا العلم لم يعد قصرا على الأطباء ، حيث ان كثيرا من علماء العرب فى الفروع المختلفة كان لهم دور فى الطب والبخارى أحسن مثل على ذلك ، فقد خصص كتابين فى الطب والمرض ، يشتملان على ثمانين بابا ، على جانب كبير من الأهمية ، ولم يقتصر النبوغ فى الخقـل الطبى على الرجال ، اذ لا ينكر تألق « أخت الحفيد بن زهر » فى هذا المجال .

---

(٢٢) أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ٣٥ .

(٢٣) أنظر أعلام الطب العربى للتوانسى ص ٣١ .

« وكان كبار فلاسفة المدارس الهللينية المتأخـرة ـ وهم المتكلمون ـ أطباء ألفوا فى الطب ، فابن سـينا كان يمارس مهنة الطب ، وله فيها شهرة فائقة ، وكتابه العظيم « القانون فى الطب » أكبر مرجع ألف فى العصور الوسطى ، وأصبح حجة فى المشرق ، ثم فى المغرب بعد ذلك ، وفى المغرب نجد « ابن باجة وابن طفيل » وهمـا من أطباء الموحدين ، وكذلك « ابن رشد » ولعله من هنا لقب الطبيب بالحكيم كما يلقب به الفيلسوف ٠٠ وكان للطب العربى أثر ضخم فى العالم الغربى ٠٠ وقد درس العرب الأعشاب ، ووسعوا معرفتهم بخصائصها الطبية ، مستفيدين بدروس من سبقوهم ، واسـتطاعوا استخدام نباتات جديدة كالكافور وخشب الصندل ، ونهضوا بفن تركيب الأدويـة ، وابتكروا عـدة تراكيب طبيـة وأشربـة » (٢٤) ٠

لقد نشأ عن هذه النهضة أن ظهر أمثال : جـابر بن حيـان ، والرازى ، وابن سينا ، والزهراوى ، وعلى بن عباس الأهوازى ، وبنو زهر ، وأولهم : أبو مروان عبد الملك ، وأشهرهم : أبو بكر محمد بن زهـر المعـروف «بالحفيد» وثابت بن قرة الحرانى ، الذى كان وثيق الصلة بالخليفة المعتضد ، وابنه ابراهيم بن ثابت ، الذى قال فيه السرى الرفاء :

هل للعديل سوى ابن قـرة شاف
بعد الاله ، وهـل لـه من كاف

فكأنه عيسـى بن مريم ناطقا
يهب الحياة بأيسر الأوصاف (٢٥)

---

(٢٤) دائرة المعارف الاسلامية ١٥/٦٠ ، ٦١ ٠

(٢٥) من أعلام الطب العربى ص ٢٦ ، توفى ابن ثابت سنة ٢٨٨ هـ ٠

وقد فاقت شهرة الأطباء المسلمين شهرة من سبقوهم والرازى الذى عرف حق المعرفة كان طبيبا وصيدليا وجراحا وكيمائيا ، وكتاباه : الحاوى والمنصورى ، يؤكدان ذلك ، وكان رئيسا للبيمارستان » (٢٦) ناهيك « بابن اسحاق الكندى ، المتوفى سنة ٨٦٧ م) والذى قيل : ان مؤلفاته الطبية أربت على العشرين مؤلفا ، و « على ابن ربن الطبرى » الذى كان يهوديا ثم أسلم ، وبزغ نجمه فى عصر المتوكل على الله ، والذى ترجم أشهر مؤلفاته « فردوس الحكمة » الى اللاتينية ، واعتمد عليه الأطباء الهنود ، وهو أستاذ الرازى (٢٧) ٠

ولا تزال الجامعات الطبية فى أوربا تحتفظ بصورة رائعة لأعلام الطب العربى ، ولا تزال مكتباتها تعنى بالمخطوطات الطبية العربية ٠٠ ان هذا كله ليدل دلالة قاطعة على تألق العبقرية العربية فى ميدان الطب فى العصر الذهبى « العباسى » ٠

بيد أن هذه الحضارة المتألقة أصابها ما أصابها من جراء الغزو المغولى - التترى - فى عام ٦٥٦ هـ ، حيث أمعن الغزاة الوحشيون فى التخريب والتدمير ، فلم يبق من هذه الحضارة الا ظلال لما كانت عليه ٠٠

وانتقل مركز الاشعاع الثقافى الى القاهرة ، التى أكرمت مثوى العلماء ، وأحسنت وفادتهم ، حين كبت بهم الجدود العواثر فى العراق وبلاد فارس وكثير من مدن الاندلس ، وأغطشت سماء العلم فى عثير المغول ونقع الفرنج ، ولولا هذا الشارق فى سماء مصر والبارق

---

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية ١٥/٦٠ ٠

(٢٧) أنظر من أعلام الطب العربى ص ٤٢ ٠

فى جو الشام لانقطع ما بين القديم والحديث ، لقد هرع العلماء الى مصر - واحة الأمن والاستقرار - فأحسنت مصر والمماليك استقبالهم ، وجدوا مع علماء مصر والشام لانهاض العلم من كبوته واقالة عثاره ، وأذكى المماليك جذوة الحركة العلمية بحماس بالغ ، حتى آتت أكلها ، وكان الطب أحد ميادين هذه الوثبة العلمية الرائعة ، فابن النفيس صاحب الموجز فى الطب ما يزال يعطى فى قوة ، وابن أبى أصيبعه ما يفتأ يتدفق ماؤه ، ودور العلاج تؤدى دورها ، والمنصور قلاوون يبنى البيمارستان المنصورى سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م ويشتد اقبال الناس على تعلم الطب ودراسته ، لدرجة أن « جامع أحمد بن طولون كان يدرس فيه الطب الى جانب العلوم الدينية (٢٨) » .

ولم يخل عصر أحد المماليك من اشادة مدرسة ، أو بناء جامع فيه مدرسة أو خزانة كتب ، أو بناء مستشفى وفى ذلك يقول « ابن حجلة » الشاعر :

لسنا وان كرمت أوائلنا
يوما على الأحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل فوق ما فعلوا (٢٩)

لقد نبغ فى كل علم أعلام ، وفى كل ميدان عماليق .

---

(٢٨) الخطط للمقريزى ٣٦٣/٢ ، وحسن المحاضرة للسيطى ١٣٨/٢ .

(٢٩) بدائع الزهور لابن اياس ص ٢٠٤ - هذان البيتان ذكرهما القالى فى ذيل أماليه ص ١١٧ لمحمد بن يزيد ، وهو الأقرب الى الصواب لتأخر ابن حجلة . الذى ربما كان قد تمثل بهما ، فالتبس الأمر على ابن اياس .

نجوم سـماء كلما انفض كوكب

بدا كوكب تأوى اليه كواكب *

وهكذا ازدانت الحركة العلمية - بما فيها الطب - ، وظلت تواكب انتصاراتها وفتوحاتها بأساطينها وأعلامها وتؤتى ثمارها الطيبة ، حتى دخل العثمانيون الشام سنة ثنتين وعشرين وتسعمائة للهجـرة ومصر سـنة ثلاث وعشرين للهجرة - ١٥١٧ م - عندئذ تقلص المد الثقافى وتقهقر ، وخمدت القرائح ، واطمأنت الكتب فى الخزائن ولم يزعجها الا اشتعال الأرضة فى صحائفهـا ، وضرب الجهل على أبصار الشرقيين فعموا ، وطال عليهم الأمد فغشاهم النعاس ، وغشيتهم الدياجير ، ولم يوقظهم الا هدير مدافع نابليون بونابرت على أبواب القاهرة عام ألف ومائتين وثلاثة عشر للهجرة ، ألف وسبعمائة وتسعين وثمانية للميلاد ...

(*) البيت لأبى الطمحان القينى ، الكامل للمبرد ١/٤٩ .

المبحث الثالث

فى مواجهـــة الأدواء

وأبعادها النفسـية

فى مواجهـــة الأدواء

وأبعادها النفسـية

الناس فى مواجهة المرض والأدواء أحد اثنين : برم قادح ، أو متماسك مادح .. فأما البرمون القادحون فهم الذين يفصحون بصدق عن أطواء نفوسهم ، ولا يكتمون الناس حديثا ، لقـد أنطقتهم البرحـــاء ، وهيمنت على مشاعرهم معاناة الأدواء ، فأرسلوا نفوسهم على سجاياها فى محاولة جـــادة لتخفيف آلامهم ، واســتدرار العطف عليهم ..

وأما المفاخرون المادحون فهم المكابرون المتماسكون الذين يظهرون التجلد ، ويبطنون التمزق ، ويعلنــــون الاشادة ، ويخفون ما تجرى به العادة ، رفعا لروحهـــم المعنوية ، وفرارا من درك اليأس ، أو تجلدا للشامتين ، أو ادخارا للأجر عند الله ..

ولقد كان الشعر العربى جد دقيق فى التقاط هاتين الظاهرتين ، فى روعة رائعة وقوة بارعة ، الى الحد الذى لم يقف به عند تصوير توجع المرضى أو مكابرتهم ، وانما تعداه الى رصد أثر الأدواء فى أهل ذويها والادنين منهم رصدا يشف بعمق عن رد الفعل ايجـابا وســـلبا ، وفى النماذج ما يفصح عن هذا كله ..

استعاذ بالله هميم بن صعصعة ــ عم الفرزدق ــ من عرجه البين المؤلم ، قائلا ــ وقد جمع مترادفات العرج ــ :

أعوذ بالرحمن من سوء العــرج
ومن جمــاع وظـلاع وعـــرج

ان القنـاة بالفتى جـد سـمج
وكنت كالظبى اذا الظبى معج(١)

ويتلوى ألما وحسرة « أبو راشد الضبى » لما نابه من عرج وعمى ، أعقبهما الفقـر وتعنيس البنـات ، حيث يقـول :

قد كنت أنضى الخـافقين برحـلتى
فصار جمـاع الارض كفـة حـابل

أبول وأنجـو فى مكانى ومقعـدى
وعندى عجـوز ما تعـول بطائل

وأبكار صـدق من عقـائل معشـر
كواسـد قـد عودن بعض المغـازل

كساد فتـاة الحى فى الدار مغـزل
وما البعل الا معقـل للعقـائل ...

وما ذاك من عـدل ولا خـور بـه
فيثنى عليـه لومـه فى المحـافل

ولكنـه مـا دام حيـا كميت
فلابد أن يحيا ببعض المـآكل .. (٢)

ويقول مالك بن المحراس ، وقد كسرت سـاقه يوم الهبـاءة :

(١) البرصان والعرجان للجاحظ ص ١٨٤ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ١٩٤ وما بعدها .

وكنت أمشى على رجلين معتمـــدا
فصرت أمشى على رجل من الخشب (٣)

وما أبلغ قول لبيـــد :

أليس ورائـــى ان تراخـــت منيتى
لزوم العصـــا تحنى عليها الأصـــابع

أخبر أخبـــار القـــرون التى مضت
أدب كأنى كلمـــا قمت راكـــع (٤)

دخل اسماعيل بن على بن عبد الله على ابنه الفضل يعوده ، اذ كان قد ناله النقرس (الروماتيزم) فى رجله فقال له : كيف أنت يا بنى ؟ فقال الفضل :

أشـــكو الى الله ما أصبت بـــه
من ألـــم فى أنامـــل القـــدم

كأننى لـــم أطـــأ بهـــا كبـــدا
من حاســـد ســـر قلبـــه ألمى

والحمـــد للـــه لا شريك لـــه
لحمى للأرض بعدهـــا ودمى

مـــا من صـــحيح الا ستنقله
الأيـــام من صـــحة الى ســـقم (٥)

---

(٣) البرصان والعرجان ص ٢٠٢ .
(٤) عيون الأخبار ٢/٣٢٣ .
(٥) ديوان المعانى ٢/١٦٩ .

قيل لأبى حكيمة الأعرابى : ان ابليس لا يحسد على شىء من الأمراض ما يحسد على علتى : الزكام والدمل ، لما فيهما من الأجر والمنفعة ، وكان الشاعر يشكو منهما ، أنشـــأ يقـــول :

أيحسدنى ابليس دائين أصبحا
بجسمى جميعا دمـــلا وزكاما ؟
فليتهمـــا كانـــا بـــه وازيـــده
رخاوة فحل لا يطيق قيـاما (٦)

ويتبرم من دمله فيقول :

وبى دمل فى كل يـوم يزورنى
فيقلق أحشـائى ويسـهر مقـلتى
يقول لى العـواد : مـال وصـحة
فيا ليتهم آبوا بمالى وصحتى (٧)

على أن هذا الدمل يذكرنا بالتياع أحمد بن محمد بن على .. الأنصارى الخزرجى المعروف بالشهاب الحجازى ، (ت ٨٧٥ هـ) من دمله الذى يقول فيه متبرما .

لقد طال ليـــل ســـاءنى فيه دمـــل
فاسهر أجفـــانى ، ولم أستطع صـبرا

(٦) بهجة المجالس ١٠١/١ ، ومحاضرات الادباء ٤٣٤/٢ .
(٧) محاضرات الادباء ٤٣٤/٢ .

كأنى بعـــلم الوقت مغرى فهـــا أنـــا
أراعى نجوم الليل أرتقب الفجرا (٨)

وقد تقطعت نفس أبى المخشى الأندلسى ، عاصم بن زيد التميمى ، حسرات لما حل به من عمى ، على يد هشام ابن عبد الرحمن الداخل ، وها هو يقول :

واذا نـــال العمـــى ذا بصـــــر
كـان حيـــا مثل ميت قـد ثـوى

وكأن النـــاعم المســـرور لـــم
يك مســرورا اذا لاقى الردى ..

لم يـزل فى كل مخشـــى السرى
يصطلى الحرب ويجتاب الدجى(٩)

ومثل أبى المخشى فى الأسى واللوعة والمأســـاة أبو يعقوب الخريمى ، القائل :

أصـغى الى قائـــدى ليخبـــرنى
اذا ألتقينــــا عمـــن يحـــيينى

أريـــد أن أعـــدل الســـلام وأن
أفصـــل بين الشـــريف والدون

اســـــمع مـــالا أرى فأكـــره أن
أخطىء والســـمع غير مأمـــون

---

(٨) نظم العقيان فى أعيان الاعيان للسيوطى ، تحرير : د . فيليب حتى ، طبعة ١٩٢٧ م ، ص ٦٦ .

(٩) جذوة المقتبس للحميدى ، طبعة مصر ١٩٦٦ م ص ٣٧٧ .

لو كنت خيرت ما أخـــذت بهـــا
تعمير نوح فى ملك قـــارون (١٠)

ومثلهما صالح بن عبد القدوس ، تمزقت نفسه بعماه ، وها هو ذا يقول :

وكنت كريمـــتى وسراج وجهـــى
وكانت لـــى بـــك الدنيـــا تطيب

على الدنيا الســـلام فما لشـــيخ
ضـــرير العين فى الدنيـــا نصيب

يموت المرء وهـــو يعـــد حيـــا
ويخلف ظنـــه الأمـــل الكـــذوب

يمنينـــى الطبيب شـــفاء عينـــى
وما غيـــر الالـــه لهـــا طبيب

اذا ما مات بعضك فابك بعضـــا
فان البعض من بعض قريب (١١)

ولكم آلمت الحمى عبد الصمد بن المعـــذل ، فضـــج بالشكوى ، وأفصح عن المعاناة قائلا :

كأن لهـــا ضر ما فى الحشـــى
وفى كـــل عضـــو لها جمـــره

---

(١٠) الحيوان للجاحظ ١١٣/٣ .
(١١) نكت الهميان ص ٧١ .

لهـا قــدرة فى جسـوم الأنـام
حبـاها بهـا الله ذو القدره ..

أسـائل أهــلى عـن سـحنتى
وأمنحهــم نظــرة نــظره

فأجزع ان قيـل لى حمـرة
وأشــفق ان قيـل لـى صــفره

وصرت اذا جعت يوما ظللت كأن على كبدى شـفره

ويربو الطحــال اذ مـا شـبعت
فتعلو التراتيب والصــدره ..

اذا مـا رأيت امــرءا مطلقــا
لـه الأكــل تخنقنى العبــره

كــأنى فــى منزلــى مخصــبا
ببلقعــة جــدبــة قفــره (١٢)

وللمتنبى فى حمـاه ما هو أروع وأبرع ، ومنه قوله فى ترقبها ، وتوجسه منها خيفة،وصدق وعدها ، وكر بها الذى تجره عليه :

أراقب وقتهـا من غيـر شــوق
مراقبــة المشــوق المســتهام

---

(١٢) الوساطة بين المتنبى وخصــومة للقاضى الجرجانى ، تحقيق : أحمد الزين ، طبعة صبيح ص ١٠٧ .

ويصدق وعدها والصدق شر
اذا ألقاك فى الكرب العظام

أبنت الدهر عندى كل بنت
فكل وصلت أنت من الزحام ؟!

جرحت مجرحا لم يبق فيه
مكان للسيوف ولا السهام (١٣)

لقد ضعضعت الأدواء هؤلاء المرضى ، وثقلت عليهم الآلام ، وأزتهم البرحاء ، وغلبهم الأسى على الخفاء ، فشكوا من فرط ما يعانون ، وبكوا من هول ما يلاقون ، وفاضت نفوسهم الممزقة المكلومة على صدر القوافى أنات ، وعلى أعجاز الأشعار عبرات ، فى تجاريب انسانية ، تطل الروعة من ترويعها ، وتهل الذاتية المعناة من التياعها ، وتعبق أردانها بشذا قيم فنية وصور ابداعية ، هى من بعث مرارة التجربة ووطأة الألم .. ففجروا فينا طاقات العطف ، وأجروا عيون الشفقة .. فى الوقت الذى تطالعنا عصبة أخرى من ذوى العلل ، تتحلى بمسوح الجلد ، وتتزيا بأردية التماسك ، تتألم دونما أنين ، وتتخذ من أدوائها مفاخر ، وتنسج من عللها مناقب ، كأن أفراد هذه العصبة وجدوا فى أمراضهم وسائل الى مدح أنفسهم والافتخار بذواتهم ، سعيا الى الاكبار ، واستعلاء على المحنة ، ان التباين بين الفريقين يكشف عن أبعاد النفس الانسانية ، وتفاعلها مع التجارب الشعورية والشعرية ، وكيف لا . وهى تصنع الشعر ، والشعر يصنعها ؟! ولا تثريب على الفريقين ، فانما لكل وجهته ، وحلاوة أدائه الأدبى وجمال ابداعه الفنى ، ولولا هذا التباين الوجدانى

(١٣) العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب ص ٥٢٣ ، ٥٢٤

والقيم الفنية الأخـرى ماراق الشـعر ورق ، ومـا ملح أو دق ، ولـذا ينسـاب الابداع الشـعرى بين حنـايا المتلقين ، ويهيمن على أفكارهم وخواطرهم ، ويقيم بينه وبينهم جسورا من التجاوب الوجدانى ، واللقاح الفكرى، على أية حـال تكون تجربة الشـاعر ، مفعمة بالمرارة واليأس ، أو خفاقة بالسعادة والبهجة ، أو متلفعة بمآزر التجلد والتماسك ...

يأتى فى اطـار تجلد ذوى العلـل فى مواجهـة الشانئين ، وتعاليهم على النكبـة ، بغيـة التماسك النفسى ، واندفاعا الى تخفيف البلوى ، قول أبى طالب ابن عبد المطلب ، وقد عيره بعض نسائه بالعرج :

قالت : عرجت ؟ فقد عرجت فما الذى
أنكـرت من جلـدى وحسـن فعـالى

وأنا ابن بجدتهـا وفـى صـيابها
وسـليل كـل مسـود مفضـال ...

وأكـف سـهمى عن وجـوه جمـة
حتى يصـيب مقـاتل البخـال (١٤)

وقول سويد بن أبى كاهل اليشكرى فى برصه :

نفـرت سـودة منـى أن رأت
صـلع الرأس ، وفى الجلد وضح

قلت : يـا سـودة هـذا والذى
يفـرج الكـربة عنـا والكلح

---

(١٤) البرصان والعرجان ص ٢٦ ، ٢٧ .

هــوزين الوجــه للمـــرء كمـــا
زين الطـــرف تحاسـين القرح (١٥)

وكيف لا يشمخ سـويد هذا الشـــموخ وأبو مســـهر الأعرابى يقول : ؟!

أيشتمنى زيد بان كنت أبرصـــا
فكـل كـــريم لا أبالك أبــرص (١٦)

ويعلل أبو قيس بن المكشوح المرادى الفارس الرئيس لدائه ، تعليلا منطقيا ، يقبله العقل ، فى قوله :

فما وضحى من داء سـوء علمته
ولكن كى النار فى الجلد يوضح (١٧)

وما أروع وأبدع ما قال بشار بن برد فى عماه :

اذا ولـد المولود أعمى وجـــدته
وجدك أهــدى من بصير وأجــولا

عميت جنينا والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظـــن للعلم معقـــلا

وغاض ضياء العين للعلم رافـدا
لقلب اذا ما ضيع الناس حصــلا

---

(١٥) عيون الأخبار ٤ ، ٦٥ ، والبرصان ٤٦ .

(١٦) أراد : كل ابرص كريم ، فقال : كل كريم ابرص ، وهذا من المقلوب . البرصان والعرجان ص ٥١ .

(١٧) المرجع الســـابق ص ٧٦ .

وشـــعر كنور الروض لاءمت بينه
بقول اذا أحزن الشعر أســـهلا (١٨)

وبشار هو السابق سبق المطهمة الجرد الى عشـــق الأذن ، ثم عدا فى أثره الشعراء ، حيث يقول :

يـــا قـــوم أذنى لبعض الحى عاشـــقة
والأذن تعشـــق قبل العين أحيـــانا

قالوا : لمن لا ترى تهوى ؟! فقلت لهم
الأذن كالعين توفى القلب ماكـــانا (١٩)

وأما أبو العلاء المعرى فقد سلى نفســـه عن عمـــاه بقوله :

قالوا : العمـــى منظـــر قبيـــح
قلت : بفقـد انكـم يهـون

واللـــه مـــا فى الوجـود شـــىء
تأســـى على فقـــده العيـــون (٢٠)

وقول على بن الخزرجي فيمن عابه بالعمى :

ليس العمـــى داء ولكنـــه
شـــطفة تشريف على ضـــره

---

(١٨) البرصان والعرجان والعميان ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٩) انظر : الغيث المسجم ٣٢٥/٢ وما بعدها .

(٢٠) المرجع السابق ٣١٩/٢ وما بعدها .

مـا الهم والـداء وكـل البـلا
الا ابتـلاء المـرء فى قعـره (٢١)

وعلى العموم فقد امتدح الشـعراء ما لا يعدى من الأمراض ، قال شاعر قريش :

وخيـر دائك داء لا تسـب لـه
ولا تبيت تمنـى لـذة الوسـن

داء كـريم فـلا عـدوى فتحذره
فالحمد للـه ذى الآلاء والمنن (٢٢)

كما هو حـال عبد الله بن عباس ، فى قوله بعد مـا كف بصره :

ان يأخـذ الله من عينى نورهما
ففى فؤادى وسمعى منهما نـور

قلبى ذكى وعرضى غير ذى دخل
وفى فمى صـارم كالسيف مأثور

وأخذ الخريمى هذا المعنى فقال :

فان تـك عينى خبـا نـورها
فكـم قبلهـا نـور عين خبـا

---

(٢١) ريحانة الألبا ١٥٩/٢ .

(٢٢) البرصـان ص ١٦ ، ١٧ .

فلـم يعـى قلبـــى ولكنمـــا
أرى نـــور عينى اليــه سرى

فأسرج فيـــه الى ضــــوئه
سراجا من العـلم يشفى العمى (٢٣)

ويؤكد رغبة البعض فى ادخار الأجر عند الله قـول الامام الشافعى ، وكان قد اشتكى بمصر شـكوى عـاده فيها بعض اخوانه ، فلمسوا جبينه ، وقالوا : أنت بخير ، فقال :

أقـول لعـــائدى وشـــجعونى
وغرهم فتـــور حمـــى جبينى

تعـزوا بالتصـــبر عن أخيكـم
فضـــجوا بالبكـــاء وودعونى

فلـــم أدع الأنين لقل ســـقمى
ولكنى ضـــعفت عن الأنين

سأصـــبر للحمـــام وقـد أتانى
والا فهـــو آت بعـد حيـــن

وان أســـلم يمت قبـلى حبيـب
وموت أحبتى قبـــلى يســونى (٢٤)

---

(٢٣) عيون الأخبار ٥٦/٤ وما بعدها .

(٢٤) بهجة المجالس ٢٦٣/١ وما بعدها .

وسواء أتوجع المريض ، وأدار ظهـــره للمـــرض مغاضبا ، أم تجلد وصبر ، وتماسك وأفتخر ، ما عليه بأس، أما أن يتمنى الصحيح الأسقام ، والمعافى العلل فهذا هو العجب العجاب ، والطريف أن النقاد يعتبرون مثل هذه الأمنية دليلا بليغا على شدة الحب ، فمثلها لا يصدر الا عن عاشق دنف ، أو متمثل بالعشاق الولهين ، أنشد قدامة ابن جعفـــر :

يود بأن يمسى سـقيما لعلهـــا
اذا سمعت عنه بشكوى تراسـله

ويهتز للمعروف فى طلب العـلا
لتحمد يوما عند ليلى شمائله (٢٥)

أخذ المعنى أبو هلال العسكرى وقال :

وقلت : عساها ان مرضت تعودنى
فأحببت لو أنى غدوت مريضـــا

وزدت اتساعا فى المكارم والعـــلا
ليصبح جاهى عندهن عريضا (٢٦)

وقال كثير : وقدبلغ به الحرمان مداه:

وددت ـ وبيت اللـــه ـ أنك بكرة
هجان ، وأنى مصعب ، ثم نهـرب

كلانا به عر ، فمـن يرنا يقـــل
على حسنها جرباء تعدى وأجرب

---

(٢٥) ديوان المعانى ٢٦٨/١ ٠

(٢٦) المرجع السابق والصفحة ٠

اذا ما وردنا منهلا صـــاح أهــله
علينا،فما ننفك نرمى ونضرب(٢٧)

وقال جميل بن معمر :
ألا ليتنى أعمى أصـــم تقودنى
بثينة ، لا يخفى على كلامها (٢٨)

ولعل العباس بن الأحنف كان أكثر توفيقا من صاحبيه - كثير وجميل - حين تمنى لنفسه البلاء ، فى قوله :

ألا ليتنى أعمى اذا حيل دونهــا
وتنشـا لنا أبصـــارنا حين نلتقى

أضن على الدنيا بطرفى وطرفها
فهل بعد هذا من فعال بمشفق (٢٩)

هذا فى الوقت الذى وجدنا بعض الناس لا يعيرون ما حل بهم اهتماما ، خاصة اذا كان غير مقعد أو مؤلم أو مشوه ، كالصلع مثلا ، « ولأبى اسحاق الصابى أبيات فى الصلع لم يسبق الى معناها ، قالها على وجه المجون :

لما رمـانى الزمـــان بالصـــلع
وقل مـــالى وضـاق متسـعى

حاســبت عن لمتى مزينهـــا
حســاب شـيخ للحـــق متبـــع

---

(٢٧) العمدة لابن رشيق ١٠١/٢ ٠

(٢٨) الأغانى ١٤/٨ ٠

(٢٩) الموشح للمرزبانى ص ٢٠٠ والصـــناعتين لأبى هلال العسكرى - طبعة بيروت ص ٩١ ٠

قلت له : اقنع من أصل واجبهـــا
بالثلث ممـــا بـــه عملت معى

واعمـــل على انهـــا مزارعـــة
شـــكوت فيها شـــكاة متضـــع

فاحطط خـــراج الذى أصبت بـــه
واستوف منى خراج مزدرع (٣٠)

وفى الناس من يؤرقه الخوف من المرض ، ويترقبه فزعا ، حتى ليكاد أن يقضى عليه تشاؤمه ، يقول أبو النجم العجـــلى :

ان الفتى يصـــبح للأســـقام
كالغـــرض المنصـــوب للســـهام

أخطأ رام وأصاب رام

وقال بعض أهل العصر :

لا تـــأمن الدهـــر الخـــؤو
ن وخـــف بـــوادر آفتـــه (٣١)

ولعل ما تتم به هذه الحلقة الافصاح عن احســـاس المرضى ازاء تأثير أدوائهم على أهليهم وذوى قرباهم ٠

لقد اصطلحت على هؤلاء المرضى معانتان : احداهما من الداء ، والأخرى من تأثيره على ذويهم ، ومن ثم فقد

---

(٣٠) ديوان المعاني ١٦٣/٢ وما بعدها ٠

(٣١) انظر : زهر الآداب للحصرى بتحقيق : البجاوى طبعة الحلبى - الاولى ١٩٥٣ م - ج ٢ ص ٨٦٤ ٠

طفح احساسهم بالمرارة ، وفاض بالأسى ، سواء فى خضوع الأهل واذلالهم ، أو فى اشفاقهم وحدبهم ، أو فى نفورهم وضجرهم ، يصور ذلك أبو المخشى فى قوله :

خضعت أم بناتى للعدا
اذ قضى الله بأمر فمضى

ورأت أعمى ضريرا انما
مشيه فى الأرض لمس بالعصا

فبكت وجدا وقالت قولة
وهى حرى بلغت منى المدى

ففؤادى قرح من قولها
ما من الأدواء داء كالعمى (٣٢)

فنفسه المكلومة تعانى أشد المعاناة من خضوع زوجه وبناته لذل العدا ، ويمضها بكاء الزوجة ، ويعصرها ذل بناته ، بسبب عمى عائلهن ؛ وكان مما حزن له حميد بن ثور الهلالى أشد الحزن اشفاق أهله عليه ، يقول :

وانصاتتى أهلى لضعفى مخافة
على ، وما قام الحواضن عن مثلى (٣٣)

وما أقسى وقع الألم على نفس الأعرج الطائى : عدى ابن عمرو بن سويد بن معن ، حين أسمعته المرأة التى خطبها ما يسىء ، حيث يقول :

تشكو الى جاراتها وتعيبنى
فقالت : معاذ الله أنكح ذا الرجل

---

(٣٢) جذوة المقتبس ٣٧٧ ، ونفح الطيب للمقرى ١٦٧/٤ .
(٣٣) البرصان والعرجان ص ٣١٩ .

فكم من صحيح لو يوازن بيننـــا
لكنا سواء ، أو لمال به حملى (٣٤)

وقال بعض الشيوخ فى انحناء ظهره :

لمـا رأت فى ظهـــرى انحنـــاء
والمشـــى بعـــد قعس اجيـــاء

أجلت وكـــان حبهـــا اجـــلاء
وجعـــلت ثلث غبـــوقى مـــاء

ثـم تقـــول من بعيـــد هـــاء
دحرجـــة ان شـــئت أو القـــاء

ثـم تمـــنى أن يكـــون داء
لا جعل الله لهـــا شـــفاء (٣٥)

وما ألطف ما شكا البوصيرى :

من لشـــيخ ذى عـــلة وعيـــال
ثقلت ظهـــره بغير ظهيـــر ...

وعتت أمهـــم عـــلى ولجـــت
فى عتـــو من كبـــرتى ونفـــور

ودعت دونهـم هنـــالك بالوي
ل لأمـــر فى نفســـها والثبـــور

---

(٣٤) المرجع السابق ص ٣٦١ .

(٣٥) البرصان والعرجان ص ٣٥٥ .

سـقطت قـــوة المريض التى كا
نت قديمـــا تــزداد بالكافــور (٣٦)

بهذا يكون الشعر قد أفصح عن أحوال المرضـى فى مواجهة المرض ، وكشف عن الأبعاد النفسية لهؤلاء وغيرهم ممن تمنوا المرض وهم أصحاء ٠ وعن التفاعل الوجدانى بين المرضى وذويهم ٠٠

ولا غرو !! فإن نهوض الشعر بهذا العبء فى هـــذه الصورة الرائعة مما لا يجحد أو ينكر ٠٠

---

(٣٦) ديوان البوصيرى ، تحقيق : محمد سيد كيلانى ، طبعة الحلبى - الثانية ١٣٩١ هـ - ص ١٥٥ وما بعدها ٠

المبحث الرابع

موقف الشـــــعراء

من ذوى الأدواء

موقف الشـــعراء

من ذوى الأدواء

الذى لا ريب فيه أن المرض أثر فى الشعراء تأثيرا واضحا ، فقد كان لهم بمثابة التجربة الشعورية ، التى تذكى جذوة الشعر ، وتؤجج العاطفة ، وأن المرضى كان لهم تأثيرهم الواضح فى الشعراء كذلك ، بيد أن هــذا التأثير قد اتخذ وجهتين : ايجابية وسلبية ، بعث الوجهة الايجابية الحب المتبادل بين الشاعر والمريض ، أو الصداقة والقرب بينهما ، أو اعجاب الشاعر بالمريض واكبـاره ؛ وبعث الوجهة السلبية البغضـاء والشحناء ، والقطيعــة والنفور ، والاحتقار والامتهان ..

وقد تجلت آثار الباعث الايجابى فى :

- مــدح المــريض .
- تفدية المريض ، وتمنى زوال الداء عنــه ولو الى المتمنى .
- الأسى والتفجع لمرض المحبوب .
- المداعبة بغية التسلية وتهوين العلة .
- قلب آثار العلل الى الرائق المستملح ، لابعاد السأم ورفع المعنويات .

مما جاء فى مدح ذوى الأدواء قول سيار بن رافــع

الليثى فى عرج أوفى بن موءلة وكان ـ كما يذكر الجاحظ ـ صديقا له :

رأيت أوفى بعيدا ، لست من كثب
فى الدار يمشى على رجل من الخشب

جعلت للعرج مجـــدا لم يكن لهم
وللقصـــار مقـــالا آخـر الحقب (١)

وقول أبى تمام داعيا للمريض بالصحة ، ومخبرا عن صحة خلقـــه :

يخرج من جســـمك السـقام كما
أخرج ذم الفعـــال من عنقـــك

يســـح سحا عليـــك حتى يـرى
خلقك فيها أصح من خلقـك (٢)

وقـوله أيضـــا :

فان يكن وصب قاسيت صـــورته
فالورد خلف لليث الغابة الأضـم

ان الرياح اذا ما أعصـفت قصفت
عيدان نجد ، ولم يعرضن للرتم (٣)

---

(١) وكان أوفى مع شرفه وسؤدده قصيرا نحيفا ، وهو الذى يقـــول :

لئن آك قصدا فى الرجال فاننى   اذا حل أمر ساحتى لجسيم

البرصان والعرجان ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) الصناعتين لأبى هلال ص ٤٧٨ .

(٣) محاضرات الأدباء ٢/٤٤٠ .

ومن ذلك ما قاله الشيخ أبو عمر فى صديقه الشيخ أبى الوليد بن عباد ، وقد أشتد عليه مرضه :

يا سليل الكرام من آل لخم
وأخا الرأى والدها والوفاء

ان لى من سقام جسمك سقما
ثابتا فى الفؤاد والأحشاء

وبقلبى ما بجسمك ضعف
للذى تشتكى من الأدواء

وبودى لو كنت عنك فداء
بدلا عن هجعة الضراء (٤)

وما أروع وأبرع قول ابن الرومى :

يا فاصدا من يد جلت أياديها
وذاق طعم الردى والبؤس شانيها

يد الندى هى فارفق لا ترق دمها
فان أرزاق طلاب الندى فيها (٥)

وقال بعضهم فى المحبوب الذى أصابه الجدرى :

وجهه فى الحسن معدن
فتأمل .. وتبين

---

(٤) بهجة المجالس ج ١ ص ٣٩١ .
(٥) محاضرات الأدباء ٤٣١/٢ .

نقـــــط من جــــــدرى
كـــد بـــاقى معـــــين (٦)

وما أحلى قول ابن رزين الواسطى :

أراق الفصــــــد خيـــر دم
دم الأذهـــــــان والفهــــم

لقـــد أخطـــأ الطبيـب غــــدا
ة فصـــــدك طيـب النســــــم

وراح وفــــى حــــــديدتــه
دم المعـــروف والكـــرم (٧)

وللشعراء فى تفدية المرضى الرائع المستملح ، كما هو قول بشار بن برد :

لو كانت الفـــدية مقبـــولة
لقـــلت بى لا بــك حمـــاكا

وكتب آخر الى عليـل :

نبئت أنــك معتـــل فقـلت لهـم
نفسى الفـــداء له من كل محـذور

يا ليت علتــــه بى غير أن لـــه
أجر العليل وأنى غير مأجور (٨)

---

(٦) ديوان المعانى ١٦٩/٢ .
(٧) محاضرات الأدباء ٤٣١/٢ .
(٨) عيون الأخبار ٤٥/٣ .

وقال ديك الجن الحمصى فى مرض من أحب :

يا ليت حماه كانت بى مضاعفة
يوما بشهر وأن الله عافاه

فيصبح السقم منقولا الى جسدى
ويجعل الله منه البرء عقباه (٩)

وقال البحترى :

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد
نقيك الذى تخفى من السقم أو تبدى

بنا معشر العافين ، ما بك من أذى
فان أشفقوا مما أقول فبى وحدى (١٠)

وفى عيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان يردد البحترى هذه المعانى قائلا :

اذا اعتللت ذممنا العيش وهو ند
طلق الجوانب ، صاف ، ظله رغد

لو أن أنفسنا اسطاعت وقيت بها
حتى تكون بنا الشكوى التى تجد (١١)

---

(٩) ديوان ديك الجن ، تحقيق :) د. أحمد مطلوب وعبد الله الجبورى، طبعة بغداد ١٩٦٤ م ص ١٩٦ .

(١٠) محاضرات الأدباء ٤٤١/٢ .

(١١) ديوان البحترى ، تحقيق : الصيرفى ، طبعة دار المعارف المصرية ، الثانية ج ١ ص ٤٩٧ .

وما أرق قول عبد بنى الحسحاس :

ماذا يريــــد السـقام من قمــر
كل جمــال لوجـــه تبـــع ؟!

ما يبتغى خاب من محاسـنها ؟
أمــاله فى القبـــاح متســع ؟!

لو كان يبغى الفـداء لقـلت لـه
ها أنا دون الحبيب يا وجع (١٢)

ومثل هذه الرقة لا تزور عن قول على بن عبد العزيز الجرجانى ـ القاضى ـ ولا تحيد :

يا ليت عينـى تحمـلت ألمـك
وليت نفسـى تقسـمت سـقمك

أوليت كف الطبيب اذ فصــدت
عرقك أجـرت من ناظرى دمـك

أعرتـه صـبغ وجنتيـك كمـا
تعــيره ان لثمـت من لثمـك

طرفك أمضى من حـد مبضـعه
فالحظ به العرق وارتجز ألمك (١٣)

وأنى لمثل هذه الرقة ألا تسكن أبيات ابن الحجاج :

---

(١٢) ديوان المعانى ١٦٦/٢ .

(١٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٧ .

أنا الفـــداء لعين بعض أسهمها
مسكونة بين أحشائى وفى كبـدى

فيها فتـور ســـقام لا خفـــاء به
يجرد السقم فى قلبى وفى جسدى

كانت تعل فـــؤادى وهى ســالمة
فكيف بى وهى تشكو علة الرمد ؟ (١٤)

كذلك برز التجاوب الوجدانى بين الشعراء والمرضـى فى أسى الشعراء وتفجعهم لما حل بساحة من يحبون من علل وأدواء ، من ذلك ما ذكر أبو هلال العسكرى لأعرابى :

أيا شبه ليلى ما لليـلى مريضـــة
وأنت صـحيح ان ذا لمحـــال !!

أقـــول لظبى مربى وهـــو راتـــع
أأنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال (١٥)

وفزع العبـــاس بن الأحنف حين زعم له زاعـم أن حبيبته مريضـــة :

زعموا لى انهـا صــارت تحـم
ابتلى اللـــه بهـــذا من زعـــم

اشتكت أكمـــل ما كانت كمـــا
يكسف البدر اذا ما قيل تم (١٦)

---

(١٤) محاضرات الأدباء ٢/٤٣٣ .
(١٥) كتاب الصناعتين ص ٤٤٧ .
(١٦) ديوان المعانى ٢/١٦٥ .

ومنه قول على بن العباس النوبختى :

لئـــن تخطـت اليـــك نائبــــة
حطت بقـلبى ثقـــلا من ألـــم

فالدهـــر لابـد محدث طبعــا
فى صفحتى كل صارم خذم (١٧)

وينضوى تحت اطار الأسى والتفجع ما حكاه المدائنى قال : « سقط عبد الله بن شبرمة القاضى عن دابتـــه ، فوثئت رجله ، فدخل عليه يحيى بن نوفـل الحمـــيرى اليمـانى فقـــال :

أقـــول غـــداة أتانـــا الخبير
يـــدس أحـــاديثه هيمنـــــة

لك الويل من مخبـــر ما تقـــول
أبن لى وعـــــد عن الجمجمــــة

فقال : خرجت وقـاضى القضـــاة
منفـــــكة رجـــــله مؤلمــــــه

فقـلت وضـــاقت عـلى البـــلاد
وخفـــت المجـــللة المعظـــمة

فغـــزوان حـــر وأم الوليـــــد
ان اللـــه عـــافى أبـــا شـــبرمه

جـــــزاء لمعـــروفه عنـــدنا
وما عتق عبد له أو أمـه ؟! (١٨)

---

(١٧) ديوان المعانى ١٦٧/٢ (صارم خذم : سيف قاطع) .

(١٨) الشعر والشعراء طبعة بيروت ص ٥٠٠ وعيون الأخبـار ٤٨/٣ ، وبهجة المجالس ٢٦٤/١ .

وكأنى بالشعراء أساة قلوب وأطباء نفوس حين يقبلون على المرضى بالمداعبة ، رغبة منهم فى تهوين عللهم ، والتسرية عنهم ، وحين يقلبون آثار العلل ومظاهر المرض الى صور رائقة حسنة ، سعيا الى ابعاد الحسرة والسأم عن ذوى الأدواء ، والتماسا لرفع معنوياتهم ، من ذلك قول العسكرى : « ومن أحسن ما قيل فى تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :

قالوا محمد المحمد موجع
والشمس تكسف ساعة وتعود

فلئن حممت فلا حممت فانها
داء الأسود وفى الرجال أسود

وهذا عندى أحسن من قول البحترى :

وما الكلب محموما وان طال عمره
ألا انما الحمى على الأسد الورد(١٩)

ومما نقله الصفدى من خط سراج الدين الوراق قوله:
قلت له مسليا
عن حالة ماشاءها

لعل فيها خيرة
فقال : أخر ياءها (٢٠)

ومما جاء فى قلب الحقائق ، أو الاضفاء عليها ما يحسنها ويزينها قول الواثق بالله فى رمد ألم بعين حبيب له :

---

(١٩) ديوان المعانى ١٦٧/٢ .
(٢٠) الغيث المسجم ٣٧٨/٢

لى حبيب قـد طال شـوقى اليه
لا أسـميه من حـذارى عليـه

لـم تكـن عينـه لتجـد قتـلى
ودمـى شـاهد علـى جفنيـه (٢١)

وقد بهر الشـعراء هذا المعنى فأخـذوه وتداولوه ، يقول ابن المعتز :

قالوا : اشتكت عينـه ، فقلت لهم
من شـدة الفتك نالها الوصـب

حمـرتها من دمـاء من قتلت
والـدم فى النصل شـاهد عجب (٢٢)

ولابن قزل أبيات عملها فى عميـاء ، أشـهى من الشفة اللمياء ، وهى :

علقتهـا عميـاء مثـل المهـا
قـد خان فيهـا الزمن الغـادر

أذهـب عينيها فانسـانها
فـى ظلمـة لا تهتـدى حـائـر

تجـرح قلبـى وهـى مكفـوفة
وهكـذا قـد يفعـل البـاتر

---

(٢١) ديوان المعانى ١٦٥/٢ .
(٢٢) محاضرات الأدباء ٤٣٣/٢ .

ونــــرجس اللحظ غـــدا ذا بـــلا
واحســـــرتا لـــو أنــه ناضـــر

ولابن سناء الملك مقاطيع فى عميــــاء ، تروى غلة الكبد الظمياء ، منها :

شـــمس بغيـــر الليـــل لم تحتجب
وفى ســـوى العينين لم تكســف

مغمـــدة المرهـــف لكنهـــا
نفتك فـــى الغمــد بـــلا مـــرهف

رأيت منهـــا الخلد فى جـــؤذر
وناظرى يعقـــوب فـــى يوســف

لقد تلطف فيما تخيل ، واختلس رقة المعنى وتحيل، ولابن سناء الملك أيضا :

فتنتنى مكفـــوفة ، ناظراها
كتبـــالى مـــن الجـــــراح أمانا

فهى لـــم تسلل الجفون حساما
لا ولـــم تحمـــل الفتـــور سـنانا

وهى بكـــر العينين محصـــنة
الأجسفان ما افتض ميلها الأجفانا

قصرت عشقها على فلـــم تعشـــق
فـــلانا اذ لـــم تعـــاين فـــلانا

عميت من هواى وارتحل الانسان
مـــن عينهـــا وأخـــلى المكـــانا

علمت غيـرتى عليهـا فحـــافت
أن يســـمى غيرى لهـا انســانا

وأنشدنى من لفظه لنفســـه جمـال الدين محمد بن نباتة ، ولكنه استعمل الخلد مورى :
فديت أعمـــى مغمـــدا لحظـه
لنــزهتى فــى خـده الـــوردى

تمكنت عينـــاى من وجهـــه
فقلت : هـــذى جنـــة الخـــلد

وقلت فيه :
ورب أعمـــى وجهـــه روضـــة
تنزهـــى فيـــه كثيـــر الـــديون

فـــى خــــده ورد غنينـــا بـــه
عن نرجس مـــا فتحته العيـــون (٢٣)

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام:

معدن الحسن والملاحة قد أصبح للسقم معدنا وقرارا
لم تشـــن وجهـــه الجميل ولكن
جعلت ورد وجنتيـــه بهــــارا

ونحوه قول أحمد بن اسحاق الطالقانى :

لقد حلت الحمى بســـاحة خــده
فأبدلت التفاح بالسوسن الغض (٢٤)

---

(٢٣) الغيث المسجم لصلاح الدين الصفدى ٣٢٠/٢ وما بعدها ، بتصرف .

(٢٤) ديوان المعانى ١٦٥/٢ وما بعدها .

قال الصولى : لم يسمع أحسن من قول البحترى فى صفرة اللون :

بدت صـــفرة فى لونه ان حمـــدهم
من الدر ما اصفرت حواشيه فى العقد (٢٥)

بمثل هذه الصـــور الروائع جادت يـد الشعر على ذوى العلل ، فأبهجت النفـــوس ، وأثلجت الخـــواطر ، وأبعدت الحسرة ، ونحت الســأم ، وهذه النماذج غيض من فيض ، وكثرتها تؤكد معنى الانسانية عند الشعراء .

بيـــد أن النفس البشرية قد يغـــلى مرجلهـــا من الغضـــب ، فترمى بشـــواظ من لهب ، ولا يعنيها الا أن تصب جام غضبها وســـخطها على من أضرم فى أعماقها جذوة الغضب ، ســـواء أكان من الأصـــحاء أم من ذوى الأدواء ، ومن ثم ظهر الجانب الســلبى عند الشـــعراء حيال المرضى ، فهجوهم تشفيا أو ازدراء .

من ذلك قـــول لبيد بن ربيعة فى الربيع بن زيـــاد العبسى ، يخاطب النعمان بن المنذر :

مهـــلا أبيت اللعن لا تأكل معـــه
ان اســـته من بـــرص ملمعـــه

وانـــه يدخـــل فيهـــا أصـــبعه
يدخلهـــا حتى يوارى أشـــجعه (٢٦)

---

(٢٥) محاضرات الادباء ٢/٤٢ .

(٢٦) امـــالى المرتضى ١/١٩٠ والاغانى ١٤/٩١ وخـــزانه البغدادى ٤/١٠ وغيرها .

وقول طرفة بن العبد الكبرى :

فما ذنبنا فى أن أداءت خصاكم
وأن كنتـم فى قومكـم معشرا أدرا

اذا جلسوا خيلت تحت ثيابهم
خرانق توفى بالضغيب لها نذرا (٢٧)

أخذه النابغة الجعدى فقال :
كذى داء باحدى خصيتيه
وأخرى لم توجع من سقام

فضم ثيابه من غير برء
على شعراء تنفض بالبهام (٢٨)

ومنه قول الحصين بن عوف القعقاع فى الأقرع ابن حابس .

يا أقرع الرأس من القذال
وأعيرج الرجل من الشمال(٢٩)

وقال جرير :
ترى برصا بأسفل اسكتيها
كعنفقة الفرزدق حين شابا (٣٠)

---

(٢٧) الشعر والشعراء ص ١١٥ اداءت : صارت ذات داء ، الضغيب : صوت الأرنب والذئب .

(٢٨) الشعر والشعراء ص ١١٥ .

(٢٩) البرصان والعرجان ص ١٨٤ .

(٣٠) المرجع السابق ١٥٦ (اسكتيها : شفرى الرحم ، وقيل : جانبتاه) .

وقد ساء بشر بن مروان دخول أيمن بن خريم عليه، وهو على طعامه ، لأن أيمن كان يخضب يده ليغطى البياض بالورس ، فقال بشر : يا أيمن اشتهيت البارحة لبنـــا ، قم انى نويت الصوم ، فلا أرى أحدا أحق به منك ، فأكل أيمن ، فلم يلبث أن أصفر اللبن ، فقال نصيب :

تعـــالج بالحص البياض فلم تجـــــده
دواء ، وما داواك عيسى بن مريمـــا(٣١)

وقال أبو الغول الطهوى ، لما وجد امرأته عرجـــاء من رجليها جميعـــا :

اعـــوذ بـــالله من زلاء فاحشـــة
كأنمــا نيط ثوباها على عـــود

لا يمسك الحبــل حقواهــا اذا انتطقت
كأنهـــا من حديـــد القـــين ســـفود(٣٢)

وقال الحكم بن عبدل الشـاعر الأعـرج يوم أن رأى عبد الحميد بن عبد الرحمن والى الكوفة الأعرج يخـــرج وهو يخمع ، والقعقاع بن سويد صاحب الشرطة الأعـــرج يخرج وهو يخمـــع :

ألق العصا ودع التخـــادج والتمس
عمـــلا ، فهذى دولـــة العرجـــان

لأميرنا وأمـــير شرطتنـــا معـــا
يا قومنـــا لكليهمـــا رجـــــلان

---

(٣١) البرصان والعرجان ١٦٢ .

(٣٢) السابق ٢٠٣ ، ٢٠٤ (فى البيت الأول اقواء) .

وابن عبـدل هــذا هـــو من قال فى عصـــــاه يحيى بن نوفل :

عصا حـكم فى الدار أول داخـــل
ونحن لدى الأبواب نقصى ونحجب(٣٣)

بيد أن ما يمثل الجانب السـلبى ـ الهجـاء ـ من الشعر لا يعد شيئا ذا بال اذا ما قيس بالشعر الايجـــابى فى هذا الصدد ..

ولعل قلة شعر الهجاء ترجع الى أن الغضب النفسى أو التوتر العصبى عند الشـاعر كثيرا ما يصـمت فى صدره ، ويكبح جماحه حرجا ، حيال أدواء ذوي الادواء، وان بلغت الشحناء مداها ، أو استبد بالنفس قلاها .

وهذا انما يدل على نبل الأحاسيس الانسانية عنـــد الشعراء ، وكبح النفس عن ذوى الأدواء .

---

(٣٣) البرصان والعرجان ٣٣٣ وما بعدها .

المبحث الخامس

مواقف المرضى

من الطب والأطباء

مواقف المرضى من الطب والأطباء

للمرضى مع الطب والأطباء مواقف مشهودة ، منها المألوفة ، ومنها غير المألوفة . فقد جرت العادة أن الانسان اذا اعتراه المرض - عافاك الله منه - هرع الى الطبيب ، طالبا العلاج ، على حد قول عروة بن حزام :

فقلت لعراف اليمامة داونى
فانك ان داويتنى لطبيب (١)

وأن يبذل له فى سبيل الشفاء كل غال ومرتخص ، كما بذل عروة :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفيانى (٢)

وليس فى الأخذ بالأسباب ما يعيب ، أو ما يخرج بالانسان عن حدود المألوف ، وانما من غير المألوف تقاعس المريض عن التداوى ، فقد يبرأ العليل وتذهب الأسقام ، ويصدق أبو تمام :

سقم أتيح له برء فزعزعه
والرمح ينآد طورا ثم يعتدل

قد حال لون فرد الله نضرته
والنجم يخمد حينا ثم يشتعل (٣)

---

(١) لسان العرب ٧٤٦/٢ .
(٢) نوادر القالى ١٥٧ .
(٣) محاضرات الأدباء ٤٤١/٢ .

وقـد تتحقق دعـــوى عبـد الله بن المعتز فيمن ألم بــه مرض :

يارب أمســك رمـق الدنيــابه
واغسـله بالصحة من أوصـا بــه (٤)

لهذا وجدنا أسـماء بن خـارجة يلاحق الأطبـاء ، طمعا فى الدواء ، ويعترف :

انى أســـائل كــل ذى طــب
مــاذا دواء صـــبابة الصـــب (٥)

ولم يتحـــرج المرضى فى بث شكواهم للأطبـــاء ، ووصف ما يعانون منه ، والافصـــاح لهم عن لواعجهم ، فالأطباء مأمونون مؤتمنون على أسرار مرضاهم ، يؤكد هــذه الحقيقة قول أبى تمــام :

غــير أن العليـــل ليس بمذمـــو
م علــى شـــرح ما بـــه للطبيب (٦)

وممن شكوا علتهم أبو نواس فى قوله :

دب فى الســـقام ســـفلا وعلـــوا
وأرانى أموت عضـــوا فعضـــوا

ليســ يمضـــى من ساعـــة بى الا
نقصتنى بمــرها بى جـــــزوا

---

(٤) محاضرات الأدباء ٤٤١ .
(٥) الأصمعيات ص ٤٨ .
(٦) الزهرة لابن داود ٩٠/١ .

وعبدان حيث يقـول :

ومســـــتخبر حالتـــى اذرآى
أقض علـى جنبـى المضـــجع

فقلـــت مجيبـا لــــه اننـــى
لضـــرى كمـا قال لى أســـجع

اذا الليـــــل ألبســـنى ثوبـــه
يقـلب فيــه فتـى موجــــع (٧)

وشكا الخليفة المأمون العباسى ما به الى جبرائيـــل ابن بختيشوع الطبيب ، ملتمساه عنده الدواء :

ألا قـــل للـــذى ليســ
علـى الاســــلام والملــه

لجبريـــل أبـى عيســى
أخـــى الانـــذال والســـفله

أفى طبـــاك يا جبريــــل
ما يشـــفى ذوى العـــله ؟

غـــزال قـد ســبى عقلـى
بـلا جـــــرم ولا زلـــه (٨)

وقال ابن نباتة المصرى فى حاله وزوجه :

أشـكو الســقام وتشــكو مثله امراتى
فنحن فى الفرش والأعضاء نرتج

---

(٧) محاضرات الأدباء ص ٤٣٧/٢ ، ٤٣٤ .

(٨) عيون الأنباء ص ٢٠١ .

نفســان والعظم فى نطــع يجمعنــا
كأنما نحن فى التمثيل شــطرنج (٩)

ان عدم الوصف للطبيب أمر يوحى بمغالطة النفس، فالشــواهد بادية ، وما أروع قــول ابن حزم فى هــذا الصـــــدد :

أأكتمــه ويكشـــفه شـــهيق
يلازمنـى واطـــراق طويـــل ؟!

ووجـــه شاهدات الحزن فيـــه
وجسم كالخيـــال ضـن نحيـــل

وأثبــت ما يــكون المـــرء يومـا
بلا شــك اذا صـــح الدليـــل(١٠)

وكل هذا وارد مألوف ٠ لكن صحائف الشعر العربى كشفت أمامنا النقاب ، وأطلعتنا على أشياء غير مألوفـة فى هذا المجال ، منها :

- كتمان الداء عن الطبيب

فمرضى الحب كانــوا يهزلوا وينحلون ، ويأرقون ، وكيف يسهد صناجة العرب « الأعشى » وليس بأحدهم ؟ لقدحق له التعجب والانكار :

---

(٩) ديوان ابن نباتة المصرى ، جمع ونشر البــدر البشــتكى والقليلى ، الطبعة الأولى ـ بيروت ص ٩٥ ٠

(١٠) طوق الحمامة ص ٢٣٧ ٠

أرقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بى من سقم وما بى معشق ؟(١١)

وكيف لا يسهد أبو العتاهية وقد رمته بسهامها « عتبة » وانسلت ؟ وها هو ذا يقول :

ومنعت الرقاد حتى كأنى
أرمد العين أو كحلت بصاب(١٢)

وتحتويه الآلام فيقول :

وياويح نفسى ويحها ثم ويحها
ألم تنج يوما من شباك الحبائل ؟!

وياويح عينى قد أضربها البكا
فلم يغن عنها طب ما فى المكاحل (*)

ويضوى جسم المتبنى ويهزل الى الحد الذى وصفه قائلا :

كفى بجسمى نحو لا أننى رجل
لولا مخاطبتى اياك لم ترنى (**)

وعلى الرغم من الهزال والنحول والأرق المصاحب لمرضى العشق فانهم يكتمون أدواءهم عن أطبائهم ، فقد

---

(١١) ديوان الأعشى - بيروت - ص ١١٦ .

(١٢) ابو العتاهية : اشعاره واخباره . تحقيق : د. شكرى فيصل ، طبعة دمشق ١٩٦٤م ص ٤٩٠ .

(*) المرجع السابق ٦٢٦ .

(**) الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى ، شرح : احمد الزين ، طبعة صبيح ، ص ٣١٨ .

كانوا يعتبرون الكتمان من جهـاد المحبين ، ويؤيد ذلـك قول يزيد بن الطثرية :

ولمـا تنـاهى الحب فى القـلب واردا
أقام وسـدت بعـد عنـه مصـادره

فأى طبيب يبـرىء الحب بعـد مـا
يسر به بطن الفـؤاد وظاهره ؟!(١٣)

والعامرى مجنون ليـلى فى قوله :

وقالوا بـه داء عيـاء أصـابه
وقد علمت نفسى مكان دوائيـا(١٤)

وعمر بن ميسرة الذى وصفه ابراهيم بن عثمـان العذرى بأنه كان كهيئة الخيال كأنه صبغ بالورس ، حيث يقـول ابن ميسـرة :

سائلنى ذو اللب عن طول علتى
وما أنا بالمبـدى لـذى اللب علتى

سأكتمها صبرا على حـر جمرها
وأسترها اذ كان فى الستر راحتى

فما أظهر أمره ، ولا علم أحد بقصـته ، حتى حضره الموت ، فقـال : ان العـلة التى كانت بى من أجـل فلانـة .. (١٥) .

---

(١٣) المرجع السابق ٦٢٦ .

(١٤) الزهرة ٨٢/١ .

(١٥) الديوان ص ٣٠٠ (كانى بـه يقول : سـاكتم دائى عن اطبائى ، لأنى اعرف دوائى) .

ولعل كتمان المرضى العشاق يرجع الى رغبتهم فى العيش على أمل الظفر بمحبوباتهم يوما ما ، لأن الافصاح غالبا ما يحول بينهم وبين ما يشتهون ، اذ كان قضاء العرف العربى يحرم الجمع بين المحب ومحبوته اذا شهر بها ، ولا أدل على ذلك من الحيلولة بين قيس ابن الملوح وليلى العامرية ، لتشهيره بها فى شعره ، وقد أدرك ابن الملوح مغبة الأمر ، لكن بعد فوات الأوان ، نلحظ هذا فى قوله :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض
على الماء خانته فروج الأصابع(١٦)

ومما يدعم هذه الحقيقة أيضا قول عمر بن ميسرة ، الذى قضى نحبه ولم يظفر بمن أحبه :

اذا كنت قد أبصرت موضع علتى
وكان دوائى فى مواضع لذتى

صبرت على دائى احتسابا ورغبة
ولم أك أحدوثات أهلى وخلتى(١٧)

ولله در الفتى ، فلم يشفع له حذره ، ولم يقم الى جانبه ذكاؤه .. انه ليس بلبيب من لم يصف ما به لطبيب ..

وأمر المرضى والأطباء لم يقف عند هذا الحد ، فقد أفصح الشعر العربى عن :

---

(١٦) الديوان ص ١٩٧ .

(١٧) ذيل الأمالى والنوادر ص ١٤٢ .

● ضجر المرضى من الأطباء :

فى بعض الأحيان كان المرضى يتبرمون بأطبائهم ، ويتضـــجرون منهم ، اما لعـــدم الثقة فى طبهم ، واما لادراكهم أن دواء أدوائهم ليس فى حوزة الأطباء ، واما للزهد والورع ..

وقد صور الشعر هذه الظاهرة بكل دقائقها وخلجات أصحابها تصـــويرا معبرا رائعـــا ، من ذلك قول قيس العامرى :

بى اليوم داء للهيـــام أصـــابنى
وما مثـله داء أصـــاب ســـوائيا

فان تمنعوا ليلى وحسـن حديثها
فلم تمنعوا عنى البكا والقوافيا..

اذا الحب أضنانى دعوا لى طبيبهم
فياعجبا هـذا الطبيب المداويا !!

وقالوا بـه داء قـد اعيـــاه داؤه
وقـد علمت نفسى مكـان شفائيا

وقوله : (وهو مما نسب اليه) :

شـــكوت الى رفيقى الذى بـــى
فجـــاءانى وقـد جمعـــا دواء

وجـــاءا بالطبيب ليكـــويانى
ومـا أبغـى ـ عدمتهما ـ اكتواء

فلو ذهبا الى ليلى فشاعت
لأهدت لى من السقم الشفاء

ثم راح العامرى يتلظى فى ناره ، ويتلوى من ألمه ، وينقم على الطبيب ، ويدعو عليه :

فلا نفع الله الطبيب بطبه
ولا أرشد الله الحكيم المداويا (١٨)

وهذا أبو العتاهية يمل طبيبه ، فقد أدرك أنه لا يملك مقومات الشفاء ، وأيقن أن لكل شىء ميقاتا ، حيث يقول :

يعللنى الطبيب الى قضاء
فاما أن أعافى أو اموتا (١٩)

ومن المناسب لبرم المرضى بالأطباء ما قال الحكم المازنى الشاعر فى خصيب الطبيب :

ليس والله خصيب
للذى بنى بطبيب (٢٠)

وتبرم تاج الدين الدشناوى بن محمد القوصى (ت : ٧٢٢هـ) من طبيبه ودوائه ، الذى يصفه لعلاجه ،

---

(١٨) الديوان على الترتيب - ص ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ .
(١٩) أبو العتاهية : أشعاره واخباره ص ٦٧ .
(٢٠) عيون الأنباء ص ٢١٥ .

سأما منهما وضجرا ، ويأسا من تأثيرهما ، فقال :

عجـزت عن قصــة الطبيب وعن
قصــة أخـذ الشراب ان وصـــفه

والحــال أبـدت لمـن يميـــزها
تعجبا ســـاء مصـدرا وصـــفه (٢١)

فى الوقت الذى سخر فيه محمد بن مسعود (ت:٧٣٣هـ) من الدواء ، واستخف بطبيبه ، حيث يقول :

صـــرف الزبيبى لصــرف همى
نص علـــى نفعـــه طبيبـــى

آه علـــى ســـكرة لعـــلى
أن أخلط الهـــم بالـــزبيبى (٢٢)

وقد يزهد المريض فى الأطباء ، نتيجة ورعه ويقينه بأن الطبيب هو الله ، كما هو حال الربيع بن خيثم لمـا مرض ، قالوا لــه : ألا ندعوا لك طبيبا ؟ فقال لهم : ان مرضـى من الطبيب ، وانه متى أراد عافانى ، ولا حاجة لى بطبيبكم ، وأنشـد :

فأصبحت لا أدعـو طبيبـا لطبـه
ولكننى أدعـوك يـا منزل القطر

---

(٢١) الـدرر الكـامنة فى أعيان المـائة الثـامنة لابن حجـر العسقلانى ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٦ جـ ٣ ص ٤١٢ (لم يحـــل مرض القوصى بينه وبين التلاعب بالألفاظ ، فاتى بتجنيس فى القافية ، وتورية بمصطلحات العلوم)

(٢٢) الدرر الكامنة ٢٦/٥ ٠

وهو نفس المعنى الذى قرره الفرزدق عندما عاد مريضا ، فقد قال :

يا طالب الطب من داء تخوفه
ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية
لامن يذيب لك الترياق بالماء (٢٣)

وقبلهما « قيل لأبى بكر رضى الله عنه : ألا ندعوا لك طبيبا ؟ فقال : قد رآنى الطبيب ، وقال : أنا فعال لما أريد . ودخل عثمان على ابن مسعود رضى الله عنهما فى مرضه ، فقال : ما تشتكى ؟ قال : ذنوبى . قال : ما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى . قال : ألا ندعوا لك طبيبا ؟ قال : الطبيب أمرضنى » (٢٤) .

وياما أميلح قول أبى العتاهية :

ان الطبيب بطبه ودوائه
لا يستطيع دفاع مقدورأتى (٢٥)

ويقرر منصور الفقيه مفهوم هذه الظاهرة ، فى

---

(٢٣) انظر المستطرف فى كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهى ، شرح : د. مفيد قميحة ، طبعة بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ج ٢ ص ٥٦٥ .

(٢٤) محاضرات الأدباء ٤٣/٢ .

(٢٥) أبو العتاهية : اشعاره واخباره ص ١٨ ، ومحاضرات الأدباء ٢ ص ٤٣٢ .

دعوة صريحة الى الابتعاد عن دائرة الأطباء والهرع عند المرض الى القرآن الكريم والدعاء ، حيث يقول :

يا ســـيدا باتت القـــلوب ـ لأن
بات كمــا لا يجب ـ محتــرقه

ان ذوى الطـــب ـ لا أقــول بمــا
لا يعلــم ربــى خــلافه ـ فســقه

فـــلا تشـــاورهم فليس لهـــم
علـــى شـحيح بدينــــه شـــفقه

واتل من الوحى ما استطعت ولو
فى كـــل يــوم وليـــلة ورقـــه

فمــا يـــداوى العليـــل يرحمــ
ـــك الله بمثل القرآن والصدقه (٢٦)

بيد ان التداوى ليس بمحرم ، وأن الأخذ بالأسباب ليس بمذموم ..

وما أحسن قول ابن أحمر حين سقى بطنه :
شربت الشـكاعى والتددت ألــدة
وأقبلت أفـــواه العــروق المكاويا

شربنا وداوينا وما كان ضـــارنا
اذا اللــه حـم المــرء أن لاتداويا (٢٧)

---

(٢٦) بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبى ، تحقيق : محمد مرسى الخولى ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م ـ بيروت ـ جـ١ ص ٣٩٠ .
(٢٧) عيون الأخبــار لابن قتيبة ٣/٢٧٤ ، وادب الكاتب لابن

واذا كان هؤلاء المرضى قد ضـجروا من أطبـائهم وبرموا بهم فان أطبـاءهم فى الغـالب لم يملوهم ولم يضجروا منهم ، لأن سـأم الطبيب من مريضه مـنـاف لرسالته الطبية ، والطبيب الحق لا يمل مرضـاه ، وقـد يشـكو من أدوائهم ، اذ كانت خلقيـة لا عضوية ، كأبى الحسن بن سدير الطبيب الخلوق ، حين شـكا مرضـاه قائلا :

أيا منقـذى من معشر زاد لؤهم
فأعيادوائى واسـتكان له طبى (٢٨)

والسـؤال الآن : اذا كان هؤلاء المرضى وأمثـالهم يسأمون الأطباء ، ويرفضون الطب والدواء ، فبأى شىء اذن كانوا يتداوون ؟

والاجابة تقودنا الى الافصـاح عن موقف آخـر من مواقف المرضى هو :

التداوى بغير الطب المعهود :

تبدو بعض المعانى فى الشعر غريبة فى عالم الواقع، تثير الانتباه ، وتدعو الأطبـاء الى الدهشة ، ذلك لأن صلتها بالعلم مبتوتة ، بل ربما لا يكون لها وجود الا فى أخيلة الشعراء ، كرؤية بعضهم الداء والدواء فى الشىء الواحد ، وأن سبب العلة هو ذاته مصدر دوائها ، فعلاج هذا الفريق من أدوائه لا يتأتى الا بأدوائه ، وهذا الفريق

=

قتيبة ، تحقيق : محمد الدالى ص ١٤٢ (وفيه دلالة على أنهم كانوا يعالجون بالشراب والأعشاب ، كما كانوا يعالجون بالكى) .

(٢٨) عيـون الأنبـاء ص ٤٠٧ .

اما مخمور واما عاشـــق ، فالمخمور يرى الخمـــر داءه ودواءه ، والعاشق يرى ذلك فى المحبوبة ٠٠

ولعل الأعشى كان أول من مهد الطريق للشعراء الى التداوى بالخمر من الخمر ، فى قوله :

وكـــأس شربت علـــى لـــذة
وأخـرى تداويت منهـا بهـا

لكى يعـلم الناس أنى امـرؤ
أتيت المعيشـــة من بابهـــا (٢٩)

ثم أخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

دع عنك لومى فان اللوم اغــراء
وداونى بالتى كانت هى الـداء (٣٠)

« قال الرشيد للمفضـــل الضبى : أنشدنى بيتا أوله أعرابى فى شملته ، هب من نومته ، وآخره مدنى رقيق، غذى بماء العقيق ، قال المفضـل : هـولت على يا أمير المؤمنين ، فما هو ؟ فقال بيت جميل :

ألا أيهـا النوام ويحكمو اهبـــوا
أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

فقال المفضل : فأخبرنى عن بيت أوله أكثم بن صيفى فى أصالة الرأى ، وآخـــره بقراط الطبيب فى معرفتــه

---

(٢٩) ديـوان الأعشى ص ٢٤ ، ومحاضرت الأدبــاء ٦٧٧/٢ وغيرهمــا ٠

(٣٠) الديوان ص ٧ ٠

بالداء ، فقال هارون : ما هو ؟ قال بيت ابن هانىء :

دع عنك لومى فان اللوم اغـــراء
ودوانى بالتى كانت هى‌الدواء ..

قال : صدقت » (٣١) .

بيد أن أبا هلال العسكرى يتوج قول الأعشــى على سائر ما قيل فى هذا المعنى ، فهو « مما لم يقل مثله فى ازالة الخمار بمعاودة الشرب .. وكل من أخذ هذا المعنى منه قصر فى العبارة عنه ، ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال أبو نواس : « وداونى بالتى كانت هى الــداء » فحشـــا الكلام بمالا وجه له وهو قوله : كانت هى « الداء » (٣٢) ولكل من الرشيد والمفضل ، والعسكرى وجهته ، ولكل وجهة وجاهتها ..

ويقول الراغب الأصفهانى : « مات الأعشى فى بيت خمارة فارسية ، فقيل لها : ما كان سبب موته ؟ فقالت : منها بها يكشتش ، أى قتله قوله فى هذا البيت . وقال آخــــر :

كصريــع الخمــــر داوى مـــا بــه
من خمار بعقـــار فانتشى » (٣٣)

ويؤكد أبو نواس على التداوى بالخمر فى قوله :

---

(٣١) مختار العقد الفريد لابن عبد ربه ص ٣٢٢ .

(٣٢) ديوان المعانى ، مكتبة القدسى ، ج ١ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(٣٣) محاضرات الأدباء ٢ / ٦٧٦ .

فتمشــــت فى مفاصــــــلهم
كتمشى البــرء فى الســقم (٣٤)

وأخذ أبو الفرج بن هند وقول أبى نواس فأسس عليه وأطنب :

رب هـــم على الفـؤاد جثـــوم
أزعجتــه عنى بنـــات الكـــروم

فتمشـــت فى قلبى المهمـــــوم
كتمشى الترياق فى المسموم (٣٥)

ويتظرف صلاح الدين الصفدى قائلا :

لعمــرك مــا شربت الــراح جهــلا
فأشربهــا حــلالا للتــداوى (٣٦)

وأما العشاق فقد استطبوا محبوباتهم ، وهن مصادر أدوائهم ، يقول جرير :

ولــو أنهــا شــاءت شــفتنى بهين
وان كان قد أعيا الطبيب المداويا(٣٧)

« وقيل لكثير : ما أنسب بيت قلتــه ؟ قال : النــاس يقــــولون :

---

(٣٤) محاضرات الأدباء ٢/٦٨٨ .
(٣٥) الغيث المسجم ٢/١٣ .
(٣٦) الغيث المسجم ١/ ٤٤٥ .
(٣٧) الديوان جـ ٢ ص ١٠٥٠ .

أريـد لأنسـى ذكرهـا فكـأنما
تمثـل لى ليـلى بكـل سـبيل

وأنسب عندى منه قولى :

وقـل أم عمـر وداؤه وشـفاؤه
لديهـا ، ورياها اليـه طبيب » (٣٨)

فما حاجة ابن عبد الرحمن اذن الى طبيب ، بعد أن أدرك أن داءه ودواءه من عزة ؟ ، ومن ذلك قـول قيس العامرى (وفيه) اشارة الى الزعمين) :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى
كما يتداوى شـارب الخمر بالخمر

وقـوله :

فلـو ذهـبا الى ليلى فشـاءت
لأهـدت لى من السـقم الشـفاء (٣٩)

ويفصح ذو الرمة عن هذا المعنى حيث يقول :

أبين وشـكوى بالنهـار شـديدة
على ، وما يأتى به الليـل أبرح

---

(٣٨) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٣١ م ، جـ ٤ ص ٢٦٧ وأنظر أيضا ديوان المعـانى ٢٦٨/١ .

(٣٩) الديوان ص ١٦٠ ، ٣٢٢ .

هى البرء والأسقام والهم ذكرها
ومـوت الهوى لولا التنائى المبرح (٤٠)

وتابع المعنى بشار بن برد فقال :

مريض ما بين الجوانح بالضـنى
وفيهــا دواء للعيـون وداء (٤١)

وشف عنه البحترى اذ يقول : (وكأنى به قد وضع مجنون بنى عامر نصب عينيه) :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى
من الداء من قد بات بالداء يشتفى(٤٢)

وقولـــــه :

وهــل علمت أنى ضــنيت وأنهـا
شــفائى من داء الضنى وســقامى

فـــداؤك ما أبقيــت منى فـــانه
حشاشة جسم فى نحول عظـامى (٤٣)

وقد تدوول هذا فى أشعار الكثيرين ، وما أرق قول بعض أهل العصر العباسى :

شــكوت الى الديار فمـا شــفتنى
بلى شــاقت الى وجـــه الحبيــب

---

(٤٠) الزهرة ٤٦٥/١ ٠
(٤١) المرجع السابق ج ١ ص ٧٧ ٠
(٤٢) ديوان المعانى ٣٢٩/١ ٠
(٤٣) الزهرة ٤٠٤/١ ٠

فمـن ينجى العليـل من المنـايا
اذا كـان البـلاء من الطبيب ؟ (٤٤)

وما أحلى ما أجاب به ابن حزم طبيبه ، وما أعمق فلسـفته :

فقلـت لـه : دوائى منـه دائى
ألا فى مثـل ذا ضـلت عقـول !!

وشـاهد ما أقـول يرى عيـانا
فـروع النبت ان عكسـت أصـول

وتريـاق الأفاعـى ليس شـىء
سـواه ببـرء ما لـدغت كـفيل (٤٥)

وقال أبو طاهر أحمد بن بشر الدمشـقى وقـد عيل صـبره :

دوائى مـكروهى ودائى محبتـى
فقيل عيل صبرى كيف بى أتقلب ؟!(٤٦)

فـلا كبـدى تبلى ولا لك رحمـة
ولاعنك اقصار ولاعنك مذهب!! (٤٦)

وقد يلتمس الشاعر علاجه فى الشـعر والعـزف على قيثارة نغمة ، وليس فى الطب وعقاقيره ، كما هو الحال

---

(٤٤) الزهرة ٣٠٢/١ .
(٤٥) طوق الحمامة ص ٢٣٨
(٤٦) الزهرة ٧٢/١ .

عند عاشق بنى عامر ، وذلك فى قوله :

فمـا أشرف الأيفـاع الا صـبابة
ولا أنشـد الأشـعار الا تداويـا

وقد يجمع الله الشـتيتين بعد مـا
يظنان كـل الظن أن لا تلاقيـا (٤٧)

ومن الشعراء من التمس دواءه فى البكاء ، يقول أبو العباس المبرد : « وقال رجل أحسبه تميميا » : ....

سأبكيك حتى تنفد العين ماءهـا
ويشـفى منى الـدمع ما أتوجـع

ومثله قول الفرزدق :

ألـم تـر أنـى يـوم جوسـويقة
بكيت فنادتنى هنيدة : ماليـا !

فقلت لهـا : ان البـكاء لراحـة
بـه يشتفى من ظـن ألا تلاقيـا (٤٨)

وأنوه هنا بأن تداوى الشـعراء بالخمر من الخمـر موقف لا يحسدون عليه ، لشذوذه وغرابته ، وهو مرفوض شكلا وموضوعا ، يأبـاه العقل ، ويشـيح عنـه العلـم ، وترفضه بكل شدة الدوائر الطبية ؛ وأن تداوى الحبيب بالحبيب ، والتداوى بالشعر والموسيقى ، أو بالبكاء ، فأمور مقبولة ، لا مساس بصحتها وجدواها ، وقد عرف

---

(٤٧) ديوان مجنون ليلى ص ٢٩٢ .

(٤٨) الكامل ج ١ ص ٨٤ - ٨٧ (بتصرف) .

الطب من قديم العنصرين : الأول والثالث ، واتجـه الى العلاج بالموسيقى فى العصر الحديث ، فكأنى بابن الملوح قد سبق رواد الحركـة الطبيـة فى عصرنا الحـديث الى الكشف عن هذا الأسلوب العلاجى ..

ثم يأتى فى اطار مواقف المرضى المشهودة مع الأطباء والطـــــب :

● **اليأس من الشفاء والضيق بالدواء : .**

من الأمراض أمراض ـ وقانا الله منها ـ استعصى على الأطباء علاجها ، وقصرت حيالها حيلهم .

فالحمـــــد لله الـــذى صــــاننـــا
ممـــا يحـــار الطـــب فى أمـــره (٤٩)

وأصحاب هــذه العلل يترقبون المــوت ، ويتحينون ساعته ، يأسا من الشفاء ، وفرارا من أهوال الآلام ، وقد كشف الشعر عن هذه الظاهـــرة فى صـــور تمتح أعمـــاق النفوس ، وتفصح عما يكتنفها من يأس وقنوط ، ويحتويها من مرارة ومعاناة ، كما فى قول حميد بن ثور الهلالى ، حين أقعد من رجليه (أصابها الفالج) :

ولا يتقى الأعداء شرى وقد يرى
مــكان ســوادى لا أمـــر ولا أحلى

وطرحى سلاحى واحتبائى قاعــدا
لدى البيت لايبلى شراكى ولا نعلى

---

(٤٩) البيت لعلى بن الخزرجى ، شيخ الشيوخ بالسيوفيـة ، انظر : ريحانة الألبا للخفاجى ١٥٩/٢ .

وانصـــاتتى أهلى لضعفى مخافــة
على ، وماقام الحواضن عن مثلى

أعين العصا بالرجل والرجل بالعصا
فما عدلت مثلى عصاتى ولارجلى (٥٠)

وحميــد بن ثور (المخضرم) هــو صــاحب البيــت المشـــــــهور :

أرى بصرى قــد رابنى بعد صــحة
وحســبك داء أن تصــح وتســلما

وقول أبى راشد الضبى - عصرى وابن عم يونس بن حبيب النحوى - لما أقعد من رجليه بعد العمى :

أرى كــل داء فيــه للقــوم حيــلة
وداؤك مســمور الــرتاج عســير

فصبرا فان الصــبر أجــدى مغبــة
عليــك ، وأنواع البــــلاء كــثير

ويتمنى أبو راشد الموت بعد أن ساءت حالته المادية ، بسبب ما ألم به :
وفى الموت للزمنى جمال وراحــة
وفى القبر ســتر للفقير المحامل (٥١)

ويحكى الجاحظ حكاية طريفة عجيبة ، نقلا عن ابن الكلبى ، الا أن الجاحظ يعتبرها من مزاعم الأعــراب ،

---

(٥٠) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، الطبعة العراقية ١٩٨٢ ص ٣١٩ .
(٥١) البرصان والعرجان ص ١٩٣ وما بعدها .

تتصل بأبى عزة الجمحى الشاعر - الذى قتل مع من قتل من المشركين يوم أحد - وكان قد أصاب الجمحى برص فسقى بطنه (*) ، فأخرجته قريش من مكة مخافة العدوى، وهم يخافون عدوى الجذام والبرص والجرب والصفر والعدسة والجدرى .. فكان اذا جن عليه الليل أوى الى شعاب فى تلك الجبال ، فاذا حميت عليه الشمس استذرى بظلال الأشجار ، فلما طال عليه البلاء أخذ مدية فوجأ بها جنبه ليموت فيسنريح ، فسال ذلك الماء وذهب ما كان به من برص ، فأقام أياما ثم دخل الى قريش كما كان يدخل، فقال : - راجزا :

لا هـم رب وائـل ونهـد
واليعمـلات والخيول الجـرد

ورب من يسـعى بأرض نجـد
أصـبحت عبـدا لـك وابن عبـد

أبـرأت منـى وضـحا بجـلدى
من بعـد مـا طعنت فى معـدى (٥٢)

ويقول الأخطل فى واحد من الأمراض المستعصـية - الطاعـون :

فـان تـك زق زاملـة فـانى
أنـا الطاعـون ليس لـه دواء (٥٣)

(*) بالبناء للفاعل أو للمفعول ، : اجتمع فى بطنـه مـاء أصفر ، فتكاكأ عليه البرص والماء الأصفر .

(٥٢) المرجع السابق ص ٧٣ .

(٥٣) ديوان الأخطل ، تحقيق : قباوة ٢٥٨/١ .

وهناك أمراض خلقية مستعصية كالحماقة واللؤم ، أنشد الرياشى :

لكـــل داء دواء يســـتطب بـــه

الا الحماقــة أعيت من يداويهـا (٥٤)

وقال ابن سدير الطبيب :

أداويهـــم الا من اللـــؤم انــه

ليعيى علاق الحاذق الفطن الطب (٥٥)

ويصــور ابراهيــم بن المهدى وقــوف الطب مــكتوف اليدين تجاه بعض الأمراض ، وهو يرثى ولده قائلا :

دعوت أطبــاء العــراق فلم يصب

دواءك منهــم فى البــلاد طبيــب

ولم يملك الآســون دفعــا لمهجــة

عليهــا لأشراك المنـــون رقيــب (٥٦)

كذلك من الأدواء التى استعصت على الأطباء وأعيتهم الأدواء الناجمة عن الضــنى فى العشــق ، واليــأس من الحبيب ، اما بالموت أو بالزواج ، «قالوا : وكان عروة بن حزام حين أخرجت عفراء ـ الى ديار الزوج ـ يلصق بطنه بحياض النعم ، يريد بردها ، فيقال له : مهلا لا تقتــل نفسك ، ألا تتقى الله ؟ فيقول :

---

(٥٤) مختار العقد الفريد ص ١٣ .

(٥٥) عيون الأنباء ص ٤٠٧ .

(٥٦) الكامل للمبرد ٢٤/٤ .

بى اليـأس أو داء الهيام شربتـه
فاياك عنى لا يكن بك مابيـا » (٥٧)

وحين طفق طبيباه يعالجانه ، بذلا كل مافى وسعهما فلم يفلحا ، وفى هذا يقول :

جعلـت لعـراف اليمامـة حـكمه
وعـراف نجد ان همـا شـفيانى

فقالا نعـم نشـفى من الداء كـله
وقـا مـا مـع العـواد يبتد ران

فمـا تركـا من رقيـة يعلمانهـا
ولا سـلوة الا بهـا سـقيانى

فقـالا : شـفاك الله والله مالنـا
بما حملت منـك الضـلوع يدان (٥٨)

ان فى هذا لدلالة على أن طبيبه قد بذلا كل ما فى جعبتهما الطبية ، ليظفرا بالجعل ، وفيه اشعار بأنهما لم يملكا لمريضهما شيئا ، فما بـه من داء ، ومـا يصيبه من شفاء ، ليس مما فى طاقتهما الطبية ..

وعلى شاكلته قول مجنون بنى عامر :

طبيبـان لـو داويتمانى أجرتمـا
فما لكما تستغنيان عن الأجـر !!

---

(٥٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٢١ « روى البيت لقيس، وضمنه ديوانه ص ٢٩٥ » .

(٥٨) المرجع السابق ص ٤١٩ ، ذيل الأمـالى والنـوادر ص ١٥٧ .

فقـالا بحزن مالك اليـوم حيلـة
فمت كمدا أو عز نفسك بالصـبر

وقـالا : دواء الحـب غـال وداؤه
رخيص، ولاينيبك شىء كمنيدرى

فمـا برحـا حتى كـتبت وصـيتى
ونشرت أكفانى،وقلت :احفراقبرى (٥٩)

ومن ثم انبرى صارخا :

لحى الله أقـواما يقـولون اننـا
وجـدنا طوال الدهر للحب شافيا

مقــــررا :

ومـا بى اشراك ولكــن حبهـا
وعظـم الجوى أعيا الطبيب المداويا(٦٠)

ثم جأر قائلا :

دعونى دعونى قد أطلتم عذابيـا
وأنضـجتم جلدى بحـر المـكاويا

دعونى أمت غمـا وهمـا وكـربة
أيا ويح قلبى من به مثـل مابيـا

دعونى بغمى وانهدوا فى كـلاءة
من الله قد أيقنت أن لست باقيا (٦١)

---

(٥٩) الديوان ص ١٦٥ ·
(٦٠) المرجع السابق ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ·
(٦١) ديوان مجنون ليلى ص ٣٠٢ ·

وقول قيس يائسا من أطباء الانس ، لائذا بأطباء الجن ، أملا فى الظفر عندهم بعلاج ناجع :

ألا يا طبيب الجن ويحك داونى
فان طبيب الانس أعياه مابيا

أتيت طبيب الانس شيخا مداويا
بمكة يعطى فى الدواء الأمانيا ..

فخاض شرابا باردا فى زجاجة
وطرح فيه سلوة وسقانيا

فقلت ومرضى الناس يسعون حوله
أعوذ برب الناس منك مداويا (٦٢)

ولقد صدق أبو عبادة البحترى حين صور واقع العشاق فى قوله :

فدع الهوى أو مت بدائك ان من
شأن المتيم أن يموت بدائه (٦٣)

والمريض يمل الدواء أحيانا ، ويضيق به ذرعا ، يأسا من نتائجه ، لأن الداء مستفحل ، يعسر معه الدواء ، كما فى حالة ابن حزم الظاهرى :

---

(٦٢) المرجع السابق ٣٠٧ .

(٦٣) الزهرة ١١٢/١١ ، وديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى (الطبعة الثانية) دار المعارف بمصر مجلد (١) صفحة (٢٣) .

وذى علة أعيا الطبيب علاجها
ستوردنى لاشك منهل مصرعى (٦٤)

وفيما أنشده ابن داود الأصبهانى ما يشير الى هذه الحقيقة :

فهل يصل السقيم الى شفاء
اذا كان الدواء هو السقام ؟! (٦٥)

وقد ييأس الطبيب المعالج ، ويمل مريضه ، اما لأنه يرفض العلاج ، واما لأن بدنه لا يستجيب للعلاج ، وأبو العتاهية أحد هؤلاء المرضى ، فهو حين بلغ به مرضه مبلغه ، ضعفت نفسه ، وسئم الحياة ، وتمنى الموت ليستريح ويريح أهله وطبيبه ، فى قوله :

قد لعمرى مل الطبيب ومل الـ
أهل منى مما أقاسى والقى

ليتنى مت فاسترحت فانى
أبدا ما حييت منها ملقى (٦٦)

وابن حزم حيث يقول :

مل مداواتى طبيبى فقد
يرحمنى للسقم حسادى (٦٧)

وقد تستفحل أدواء بعض المرضى ، ويشيع خطرها

---

(٦٤) طوق الحمامالد ٢٠٨ .
(٦٥) الزهرة ٧٥/١ .
(٦٦) أبو العتاهية : أشعاره واخباره ص ٥٨٤ .
(٦٧) طوق الحمامة ١٧٢ .

وذكرها بين الناس ، وتغدو هى وأصحابها الذين جثمت على صدورهم حتى قضوا نحبهم ، - اذ وقفت بنجوى من كل المحاولات الطبية - تغدو شائعة الذكر ، جارية بين الناس مجرى الأمثال ، من شواهد هذا الاستنتاج : داء الياس بن مضر ، الذى ضرب به المثل ابن أبى عاصية السلمى ، حيث يقول فى « ذيل الأمالى والنوادر » :

فهل ناظر من بطن عمدان مبصر
قفا أحد رمت المدا المتراخيا

ولو أن داء اليأس بى فأعاننى
طبيب بأرواح العقيق شفانيا

قال الزبير بكار :

يعنى اليـاس بن مضر ، وكان به داء السل ، وبه مات (٦٨) .

وداء عروة بن حزام ، الذى قال عنه قيس بنى عامر :

عجبت لذاك عروة كيف أضحى
أحاديثا لقوم بعد قوم !!

وعروة مات موتا مستريحا
وها أنذا أموت كل يوم (٦٩)

ولا يبعدن قيس ليلى ، فقد شاع ذكره ، فهيهات هيهات أن يغفله المحبون ، وألا يكون مضرب الأمثال بينهم ، يقول ابن نباتة المصرى فى نونيته الرقيقة التى مطلعها :

---

(٦٨) ذيل الامالى والنوادر للقالى ص ١٢٦ .

(*) صرف الممنوع من الضرائر التى تسوغ للشاعر دون الناثر.

(٦٩) الزهرة ٦٩/١ .

يا أيها الملأ الملاح افتونى (*)
من ذا أباح لكم دم المفتون ؟...

قرن الوداد له فؤادى بالأسى
أكذ ايجازى ود كل قرين ؟!

فاترك حديث شجون من قتل الهوى
قبلى ، وخذ منى حديث شجونى

قسما لو آن العامرى معمر
ما جن الا معجبا بجنونى (٧٠)

لقد تمثل أعلام العشق برواده ، يقول أبو وجزة السعدى ـ عاشق الميلاء :

وفى عروة العذرى ان مت أسوة
وعمرو بن عجلان الذى فتنت هند

وبى مثل ماماتا به غير أننى
الى أجل لم يأتنى وقته بعد

ويقول مروان بن أبى حفصة :

أردين عروة والمرقش قبله
وأخابنى نهد تركن قتيلا

ولقد تركن أبا ذؤيب هائما
ولقد قتلن كثيرا وجميلا

(*) أسقط همزة القطع ليسلم النغم الموسيقى من الاضطراب .
(٧٠) ريحانة الألبا ٢١/١ .

وتركـن لابن أبى ربيعـة منطقـا
فيهن أصـــبح سائرا محمـــولا (٧١)

وما أرق قول أبى الطيب المتبنى ، وأسخاه بمعاقد الاستدلال فى التمثيل بهذا الفريق من المحبين :

عزيز أســى من داؤه الحـــدق النجل
عيـــاء بــه مات المحبـــون من قبــل

فمــن شـــاء فلينظر الـــى فمنظـرى
نذير الى من ظــن أن الهوى ســـهل (٧٢)

كذلك ضرب الشـعراء المثل بفـــالج أحمـد بن أبى دؤاد ـ قاضى قضاة المعتصم ووزير المتوكل ـ قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه :

أتضرب مثـله بالســـوط عشرا ؟
ضربت بفـــالج ابــن أبــى دؤاد (٧٣)

لقد افصح الشعر بذلك عن مواقف المرضى من الطب والأطباء ، المألوفة وغير المألوفة ، والتماس الشـــعراء العـــلاج فى أدوية تكـــاد تــكون بنجـوى من الأدوية الطبية ، وصـــور ما يكتنف نفوس المرصـــى من يأس ومعاناة ، الى غير ذلك من تطواف ومتح ودراسة وتحليل وموازنة وتصـــنيف ، مما اضــطلع بأعبائه كاهل هذا المبحث ..

---

(٧١) الموشى ، او الظـرف والظرفاء لابن يحيى الوشـــاء ، تحقيق : كرم البستانى ـ طبعة دار صادر ،ص ٨٤ وما بعدها .

(٧٢) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ٢٩٦/٣ ، ٢٩٧ .

(٧٣) المستطرف للأبشهى ٥٦٤/٢ .

المبحث السادس

موقف الشـعراء من الأطبـاء
وأثـره فى رواد الطب

موقف الشـعراء من الأطبـاء
وأثـره فى رواد الطب

نعرض الشعرء للأطباء ، فأكبر وهم وأجلوهم تارة، وأحقروهم وذموهم تارة أخرى ، وقد تبين بالاستقراء : أن من ظفر من الشـعراء بالدواء الناجع على يـد طبيبه أجـزل له المدائح ، ووفاه المحامد ، ومن لم يظفر ببغيته قلب لطبيبه ظهر المجن ، وأمطره بشواظ من لهب السباب ومر الهجاء : وقد رأينا ـ سلفا ـ طرفا من خلع الشـعراء على الأطباء (*) .

وأن البـرء أو عـدمه لم يكن الباعث الأوحـد على المدح أو الهجـاء ، وانما قامت الى جانب هـذا أو ذاك بواعث أخرى منها :

اكبار أولى الفضل من الشعراء للأطباء ورسالتهم فى

(*) كمدح أبى سماك الأسدى لزينب طبيبة بنى اسـد ، ومدح السرى الرفاء لابن ثابت بن قرة الحرانى .. البحث ص (٣٨ ، ٤١).

(١) أخذ ابن المنجم مطلع قصيدته من مطلع لامية لبيد : الاكل لبيـــد :

الاكـل شـــىء مـا خـلا اللـه باطـــل
وكـــل نعيـــم لا محـــالة زائـــل

فقال ابن المنجم ـ

الاكـــل شـــىء مـا خـــلا اللـه مائت
ومن يغترب يرجى ومن مـات فائت ..

على أن تكراره لكلمة « ثابت » فى قافية بيتين متتاليين ، وان تغير معناها ، معيب عليه ..

انظر القصيدة فى عيون الأنباء ص ٢٩٧ وما بعدها .

الحيـــاة ، وتنكر البعض لمكـانة الأطبـــاء ، تهوينا من شأنهم ، أو حسدا لهم ..

ومنها : العلاقه الطيبة والمودة الصـادقة بين بعض الشعراء وبعض الأطباء ، وسـوء الطوية والكراهية بين البعض والبعض الآخر ..

ومن ثم راح الفريق الأول من الشعراء يمدح الأطباء، مبتهجا بالصحة التى عاودته ، وفيا لمن أجرى له الله هذه النعمة على يديه ، مقدرا للدور الانسـانى الذى يؤديـه الآسون ، مكبرا جهودهم وعلمهم ، صـادقا فى مودته وصـداقته .. بينما راح الفريق الثانى يهجـو ويذم ، مغيظا محنقا متنكرا مبغضا ، والبـون بين هذه الغرائز الانسانية وتلك بون شاسع .. وقد أكثر الفريق الأول من مدح الأطبـاء ، وأشـاد بمكانتهم ، وكان لهم وفيا فى حياتهم وبعد مماتهم ، نلمس هذه الحقائق فيما رثى بـه أبو أحمـد يحيى بن على بن يحيى بن المنجم النديم ثابت ابن قـرة الحرانى الطبيب المتوفى سـنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة ، حيث يقول :

نعينـا العـلوم الفلسفيات كلها
خبا نورها اذ قيل قـد مات ثابت

وأصـبح أهلوها حيـارى لفقـده
وزال به ركن من العلم ثابت ...

أبـا حســن لا تبعـدن وكلنـا
لهلكك مفجوع له الحزنكابت ..

تهذبت حتى لـم يكن لـك مبغض
ولا لك لمـا اغتالك الموت شـامت

وبرزت حتى لـم يكن لـك دافـع
عن الفضـل الاكاذب القول باهت

مضى علم العـلم الذى كان مقنعا
فلـم يبـق الا مخطىء متهـافت (١)

ان قرب الصلة وأكيد المودة وحسن العلاقة بين ابن المنجم النديم والحرانى الطبيب جعلت النديم يتفجع على صديقه الطبيب ويحزن بهذه الصـورة ، ويفى له بهذه المثالية ..

وأبو العلاءبن سـليمان ـ فيلسوف المعـرة ورهين المحبسين ـ يبلغ به الاعجاب بجالينوس الطبيب الحكيم ومدونى الطب الى حد مدحهم فى كتابه « الاستغفار » بقـوله :

سـقيا ورعيا لجالينوس من رجل
ورهط بقراط غاضوا بعد أو زادوا

فكل مـا أصـلوه غيـر منتقض
بـه استغاث أو لو سـقم وعواد

كتب لطـاف عليهم خـف محملها
لكنها فى شـفاء الـداء أطـواد (٢)

---

(١) أخذ ابن النجم مطلع قصيدته من مطلع لامية لبيد :

الا كـل شـىء مـا خـلا الله باطـل
وكـل نعيـم لا محـالة زائـل

فقال ابن النجم :

الا كـل شـىء مـا خـلا الله مـائت
ومن يغترب يرجى من ومن مات فائت

على أن تكراره لكلمة « ثابت » فى قافية بيتين متتاليين ، وان تغير معناها ، معيب عليه .

انظر القصيدة فى عيون الأنباء ص ٢٩٧ وما بعدها .

مطلع قصيدته من مطلع لامية لبيـد :

(٢) انظر عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٣٠ .

ومثل هذا الاعجاب يتضح لنا فى قول سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه ، وهو ابن أخى ابن عبد ربه الشاعر الأندلسى وصاحب « العقد الفريد » :

لما عدمت مؤانسا وجليسا
نادمت بقراطا وجالينوسا

وجعلت كتبهما شفاء تفردى
وهما الشفاء لكل جرح يوسا

ووجدت علمهما اذا حصلته
يذكى ويحيى للجسوم نفوسا (٣)

وعلى درب الوفاء والابتهاج بالشفاء والاعتراف بالفضل يترنم نجم الدين أبو الغنائم محمد بن على بن المعلم الهرثى الشاعر « الواسطى » وقد أبل من مرضه على يد الطبيب أبى طاهر أحمد « ابن البرخشى » وكان قد ألزم الشاعر الحمية ومنعه الغذاء ، فيقول :

أصبحت فخرا بالمنى واغتدى
قدرك فوق النجم مرفوعا

يا منقذى من حلقات الردى
حاشاك أن تقتلنى جوعا

وفى أمين الدولة بن أبى العلاء صاعد بن التلميذ - رئيس البيمارستان العضدى ببغداد - (ت : ٥٦٠هـ) يقول الطغرائى - شاعر لامية العجم - بعد أن فارقه ألم الظهر ، على يد ابن التلميذ :

يا سيدى ، والذى مودته
عندى روح يحيا بها الجسد

---

(٣) المرجع السابق ٤٩٠ .

من ألم الظهـر أستغيث ، وهـل
يـألم ظهـر اليـك يسـتند ؟ (٤)

وفى مـدح الطبيب الرئيس أبى عمـران موسى بن ميمون القرطبى طبيب الناصر صلاح الدين وولده الملك الأفضل يقول القاضى السعيد بن سناء الملك :

أرى طب جالينوس للجسم وحـده
وطب أبى عمران للعقل والجسـم

فلـو انه طـب الـزمان بعـلمه
لأبراه من داء الجهـالة بالعـلم

ولو كان بـدر التـم من يستطبه
لتـم لـه مـا يدعيـه مـن التـم

وداواه يـوم التـم من كلف بـه
وأبـرأه يـوم السرار من السـقم (٥)

ومن لطائف المدائح ما جاء فى قول الشريف البكرى فى مدح الطبيب سعد الدين بن عبد العزيز السـلمى ، الذى طب لنور الدين زنكى والملك الأشرف الأيوبى وأخيه الملك الكامل ، والمتوفى سـنة أربـع وأربعين وستمائة للهجرة :

حكيم نطيف من لطـافة وصـفه
يـود المعافى السـقم حتى يعوده (٦)

---

(٤) المرجـع السـابق ص ٣٥٨ .
(٥) عيون الأنباء ص ٥٨٢ وما بعدها .
(٦) المرجـع السـابق ٦٧٢ .

ومما قيل فى مدح شمس العرب البغدادى سـديد الدين المعروف بابن النفيس ، الطبيب الشهير :

لسـديد الـدين فى الطب يـد
لـم تزل تنقـذ طـرفا من قـذى

كـم جلت عن مقـلة من ظلمـة
وأمـاطت عن جفـون مـن أذى

لا يعـانى طب عين فى الـورى
قط الا حـاذق كـان كـذا

يا مسـيح الوقت كـم من أكمـه
بـك أضـحى مبصرا ذاك وذا

فبـارائـك للـداء دواء
وبألفـاظك للـروح غـذا

لـك عنـدى منن لـو أننـى
شـاكر أيسـرها يـا حبـذا (٧)

ومن ذلك ما مدح به ابن أبى أصيبعة الطبيب بـدر الدين ابن قاضى بعلبك (صاحب كتاب مفرح النفوس)، وكان قد أهـداه الى ابن أبى أصـيبعة ، حيث يقـول :

تكـاد لنـور الـدين
تخفـى طلعـة الشـمس

حكيـم فاضـل حبـر
شـريف الخيـم والنفس

وأدرى النـاس فـى طـب
وعـلم النبض والحبس

---

(٧) المرجـع السـابق ٧٣٩ .

خبيـــر بالتـداوى عـــن
يقين ليس عـــن حـــدس

فمـن بقـــراط والشـــيخ
مـن اليـــونان والفـــرس

فكـــم أوجـــد مـن بـــرء
وكـــم أنقـــذ مـــن عكس

ســـما فى الـــرأى عن قيس
وفـــى الألفـــاظ عـن قس

وقـد أهـــدى الـى قلـــبى
كتـــــاب مفـــــرح النفس (٨)

بمثل هذه النماذج مدح الشعر الأطباء ، وخلع عليهم صفات مدحية ، تنبع فى الغالب من معين المهنة ، كغزارة العـــلم ، والتمكن فى الطب ، والتفـــوق على الأقـــران الجهـــابذة ، وســـير البرء والعافية فى ركـاب الطبيب الممدح ، واطمئنان النفوس لـه ، والاعتداد بالمؤلفات ، وسعة الصدر ، ودماثة الطبع ، هذه الصفات فى جملتها بعيـدة عن الغلو والمبـــالغة ، لأن توفرها فى الطبيب الخريت حيوى وممكن ، ولولا ما فى محاولة تشبيه طب الممدوح بطب المسيح عليه السلام من مبالغة لما كان لها أثر يذكر فى مدح الأطباء ٠٠ على أن معظم هذه الصفات المدحية ليســـت واردة فى تضـــاعيف شـــعر المداحين المتكسبين ، ذلك لأن الغاية من مدح الأطباء ليست كالغاية من مدح الأسخياء ٠٠ ولأن دافع النوال والحصـول على

---

(٨) عيون الأالباء : ٧٥٢ .

المـال يختلف اختلافا جوهريا عن دافع الشكر والاعتراف بالفضل لذوى الفضل .

بيد أن الشعر لم يقف من الأطبـاء عند هذا الموقف الايجابى ، وانما تعداه الى موقف آخـر سـلبى ، فلم يسلموا من ألسنة الشـعراء الحداد ، فقد هجاهم الفريق الثانى أقذع الهجاء ، ورماهم بشواظ غضبه ، مدفوعا الى هجائهم بما أفصحنا عنه سـلفا ، من تنكر أو حسـد أو كراهية أو ما اليها ، على أن هجاء الأطباء لم ينهض بـه الشعراء وحدهم ، وانما شاركهم المعمعة أطباء شعراء ، هجا بعضهم البعض ، ـ كما امتدح بعضـهم البعض من قبل ـ والصفات التى ذموا بها على النقيض من الصفات التى مدحوا بها ..

« لما ترك « لافس » التصوير وتطبب قيل له فى ذلك فقال : الخطأ فى التصوير تدركه العيون وتلحقه العيوب وخطأ الطبيب تواريه القبور » ..

وقال أبو القاسم نصر بن أحمد المعروف بالخبز أرزى (ت : ٣٢٧هـ) فى طبيب اسمه نعمان :

أقول لنعمان وقـد سـاق طبـه
نفوسا نفيسات على ساكنى الأرض

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضـنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض(*)

(*) البيت لطرفة بن العبد ، اخذه من قبل ابو خراش وقال : حمدت الهى بعد عروة اذنجا : خراش ، وبعض الشراهون من بعض المستقصى ١١/٢ ، ومجمع الأمثال للميدانى ٩٤/١ .

وقال المصيصى الخياط :

لـم يأت فـى الأربعـا عليـــلا
الا دفنـــــاه فـــى الخميس (٩)

ومن هــذا الهجـاء قول مهيــار الديلمى فى طبيب كحال (عيون) :

أفنــى وأعمى ذا الطبيب بطبـــه
وبــكحله الأحيـــــاء والبصراء

فــاذا نظرت رأيت من عميــانه
أممــا على أمـــواته قـــراء (١٠)

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت، الطبيب الأندلسى ، المتوفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة للهجرة ، يهجو طبيبا اسمه شعبان :

يــا طبيبــا ضجــر العـــا
لـــــم منـــــه وتبـــرم

فيـــك شـــهران من العـــا
م اذا العـــام تصـــرم

أنـــت شـــعبان ولكـــن
قتلــك النـــاس محـــرم (١١)

ومما قاله أمين الدولة بن التلميذ ، المتـــوفى سـنة

---

(٩) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ج ٢ ص ٤٢٧ .

(١٠) ريحانة الألبا تهـــاب الدين الخفاجى ، تحقيق : عبـد الفتاح الحلو طبعة الحلبى ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م ج ١ ص ١٩٨ .

(١١) عيون الأنباء ص ٥١٣ (فيه توريةرائعة) .

ستين وخمســـمائة للهجرة فى أوحد الزمان هبــة الله ، عصريه ، والذى كان يهوديا فأسلم ، وكلاهما طبيب :

لنا صــديق يهــودى حمــاقته
اذا تكلــم تبــدو فيــه من فيــه

يتيه والكلب أعلى منــه منــزلة
كأنه بعــد لم يخــرج من التيــه (١٢)

وهجا الموفق بن شــوعة الطبيب المصرى الجراح ، والذى خدم الناصر لما كان بمصر ، والمتوفى سنة تسع وســبعين وخمسمائة للهجرة ، هجا ابن جميع اليهودى الطبيب ، فجرده من كل أسلحة العــلم ، واتهمه بادعاء الطب ، وتحداه بعدم قدرته على عــلاج أدوائه ، فكيف بعلاج أدواء الغير ، وذلك فى قوله :

يا أيها المــدعى طبــا وهندسة
أوضحت يا ابن‌جميع واضح‌الزور

ان كنت بالطب‌ذا علم فلم‌عجزت
قواك عن طب داء فيك مســتور

تحتــاج فيــه طبيبا ذا معــالجة
بمبضــع طولــه شــبران مطرور (١٣)

وهجا أبو الندى حسان نمير الكلبى أبا الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلى المتوفى ٥٤٩هـ بقوله :

لنــا طبيب شــاعر أشــتر (*)
أراحنــا مــن شــخصه اللــه

---

(١٢) عيون الأنباء ص ٣٤٩ ٠

(١٣) المرجــع السابق ص ٥٨١ ٠

(*) الأشتر : من كان جفن عينه منقلبا او منشقا او مسترخيا من اسفله ٠

مـا عـاد فى صـبحة يـوم فتـى
الا وفـــى باقيـــه رثـــاه

وقوله أيضا فيه - ولم يذكر له شيئا من المحاسن - :

يـا عين سحى بدمع سـاكب ودم
على الحكيم الذى يكنى أبا الحكم

قـد كان لارحم الرحمن شـيبته
ولا سـقى قبره من صـيب الديم

شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة
ويستحل دم الحجاج فى الحـرم (١٤)

ويستشيط غضبا أبو الحكم ، ويرد الصاع صاعين ، لكن للطبيب المفشكل اليهودى ، فيهجوه - على سـبيل المرثية - (متمثلا مشـطرا معلقة امـرىء القيس التى أولهـا :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسـقط اللوىبين الدخولفحومل

قائلا :

ألا عـد عن ذكرى حبيب ومنزل
وعرج على قبر الطبيب المفشـكل

فيارحمة اللـه استهينى بقبـره
وكونى عن الشيخ الوضيع بمعزل

ويا منكرا جـود هديت قـذالة
بمقنعة واسقله سـقل السجنجل

---

(١٤) المرجع السـابق ص ٦١٥ .

وكـبكبه فى قعر الجحيم بوجبــة
كجلمود صخر حطه السيل من عل

لقد حـــاز هذا اللحد أخبث جيفة
وأوضـــع ميت بين ترب وجندل

سأسـبل من بطنى عليه مدامعى
وأورده من مائها شر منهل ... (١٥)

ومثـل هذا الهجاء الراثى ، الذى يقبر فيه الهاجى مهجوه ، ويرثيه هاجيا ، أو يهجوه راثيا ، يعتبر جديدا مبتكرا فى عالمالهجاء ، وطريفا رائعا فى دنيا القريض والابداع ، لمـا يسرى فى أوصاله من خفة ومرح ورشاقة ، تداعب نفس المهموم ، وتسرى بلوذعيتها السـاخرة عن وجدان المكلوم ..

ومن الشعراء من رمى الأطبـــاء بعدم القدرة على الاحاطة بدائه ودوائه ، لقصور طبهم عن الوصـــول الى كنه معاناته وكيفها ، لأنهم يحكمون بالعلل الظاهرة ، أما الأدواء التى طوى عليها أصـحابها الضلوع ، فليس للطب اليها ســـبيل ، فخمود جذوتها لا يتـــأتى الا عن طريق من أججها وأذكاها ، ولهذا تنكـر هذا الفريق من الشعراء المرضى للأطباء ، ورموهم بالعجـز ، وضـــآلة الخبـــرة ، وفشـل المحـــاولة العلاجية ، كما فى قــول جرير :

ولو أنها شـــاعت شـــفتنى بهين
وان كان قد أعيا الطبيب المداويا (١٦)

---

(١٥) عيون الأنباء ص ٦٢٥ .
(١٦) ديوان جرير بتحقيق د. نعمان طه ١٠٥٠/٢ .

حدث محمد بن سلام الجمحى قال : مرض الحكم بن محمد قنبر المازنى الشاعر بالبصرة ، فأتوه بخصيب الطبيب (المتوفى فى حبس العباسيين سنة خمسين ومائة للهجرة (*)) ليعالجه ، فقال الحكم فيه :

ولقد قلت لأهلى
اذ أتونى بخصيب

ليس والله خصيب
للذى بى بطبيب

انما يعرف دائى
من به مثل الذى بى (١٧)

فالشوق يعرفه من يكابده ، ولوعة الصبابة يلمسها من يعانيها .

والمتنبى الشجاع الجوال نالته الحمى بمصر ، لما حدد كافور الاخشيدى اقامته ، وحال بينه وبين الرحيل، نسمع فى أنينه سخرية مدوية من طبيبه وطبه ، وذلك فى قوله :

يقول لى الطبيب أكلت شيئا
وداؤك فى شرابك والطعام

(*) كان قد سقى محمد بن ابى العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة فمرض منها ، وحمل الى بغداد فمات بها ، فاتهم خصيب فحبس حتى مات .. عيون الأنباء ص ٢١٥ .

(١٧) المرجع السابق ص ٢١٤ وما بعدها .

ومـا فى طبـــه أنـى جـــواد
أضر بجســمه طــول الجمـــام

فان أمرض فما مرض اصطبارى
وان أحمم فمـــاحم اعتـــزامى (١٨)

ذاكم المتنبى أسقمه المحبس ، وخانت طبيبه فراسته، وابن حزم الظاهرى الأندلسى - يقرر بخبرته وفطنته أن « الأعراض الواقعـــة من المحبة غير العلل الواقعـة من هجمـــات العلل ، ويميزها الطبيب الحـاذق والمتفرس الناقد . ويقول :

يقـــول لى الطبيب بغــــير علم
تـــداو فأنت يا هـــذا عليـــــل

ودائى ليس يدريـــه ســـــوائى
ورب قـــــادر مـلك جليـــــل

فقـــلت لـــه أبـــن عنى قليـــلا
فلا واللـــه تعـــرف ما تقـــــول

فقـــال أرى نحـــولا زاد جـــدا
وعلتـــك التى تشـــكو ذبـــول

فقـلت له الذبول تعـــل منه الـ
جـــوارح وهى حمـــى تستحيل

---

(١٨) العـرف الطيب فى شرح ديـــوان أبى الطيب لليازجى ص ٥٢٤ .

وما أشكو لعمر الله حمى
وان الحر فى جسمى قليل

فقال أرى التفاتا وارتقابا
وأفكارا و صمتا لا يزول

وأحسب أنها السوداء فانظر
لنفسك انها عرض ثقيل

فقلت له كلامك ذا محال
فما للدمع من عينى يسيل

فأطرق باهتا مما رآه
ألا فى مثل ذا بُهت النبيل !؟ (١٩)

لا ريب أن نبرة الهجاء خافتة فى هذا النوع من الشعر ، لأن شعراءه المحرومين لا يهجون بقدر ما يشكون ، ولا يقدحون بقدر ما يتبرمون ، ولا يهجمون بقدر ما يتنكرون ، وما سجلناه هنا الا لما ألصقه شعراؤه بأطبائهم من قصور أساليبهم الطبية ، وعجزهم عن الالمام والافصاح عن مثل هذه الأدواء ..

وتجدر الاشارة الى أن هذا الشعر قد جمع أحيانا بين المتضادين : المدح والهجاء فى قصيدة واحدة ، مثلما جمعت القصيدة العربية أحيانا بين التهنئة والتعزية ؛ من ذلك ما ذكره ابن أبى أصيبعة فى الطبيبين : أبى الحسن أمين الدولة بن التلميذ وأوحد الزمان هبة الله أبى البركات :

---

(١٩) طوق الحمامة فى الالفة والآلاف لابن حزم ، تحقيق : فاروق سعد ، طبعة بيروت ص ٢٣٧ وما بعدها .

أبو الحســـن الطبيب ومقتفيـــه
أبو البركـــات فى طرفى نقيض

فهـــذا بالتواضـــع فى الثريـــا
وهـــذا بالتكبـــر فى الحضيض (٢٠)

على أن الأطباء الفحول كانوا ينظرون الى مثل هذا الهجاء على أنه من باب حسد الفضلاء ، فالفضلاء دائمـا محسدون ، من هذا المنطلق يقول الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا ، الذى عاش بين سنتى احدى وسبعين وثلثمائة وثمان وعشرين وأربعمائة :

ان يحسدونى فانى غير لائمهـــم
قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فـدام لى ولهـم ما بى وما بهـم
ومـات أكثـرنا غيظـا بمـا يجـد

أنا الذى يجدونى فى صـدورهم
لا أرتقى صعدا منهـا ولا أرد (٢١)

ولله در ابن سينا حيث يقول فى حساده :

انى وكيـد هم ومـا عتبـوا بـه
كالطود يحقـر نطحة الأوغـال

---

(٢٠) عيون الأنباء ص ٣٥٠ .
(٢١) تاريخ حكماء الاسلام ص ٥٢ وما بعدها ، وعيون الأنبـاء ص ٢٦٥ وما بعدها .

واذا الفتى عرف الرشـــاد لنفسه
هانت عليـــه ملامـــة الجهـــال (٢٢)

ومثل هذه الأصداء ما تردد فى قول فخر الدين بن الساعاتى الطبيب ، أخى أبى الحسن بن الساعاتى الشاعر :

يحســـدنى قـــومى على صنعتى
لأننى بينهـــــم فـــــــارس

سهرت فى ليـــلى واستنعســـوا
لن يســـتوى الدارس والناعس (٢٣)

وابن ســـدير المدائنى الطبيب ، المتوفى ســـنة ست وستمائة للهجرة ، يرجع هذه الظاهرة الى لـــؤم طبـــاع طائفة من الناس ، حيث يقول :

أيا منقذى من معشر زاد لؤمهـم
فأعيا دوائى واســـتكان له طبى

اذا اعتل منهم واحد فهو صحتى
وان ظل حيا كدت أقضى به نحبى

أداويهـــم الا من اللـــؤم انـــه
ليعيى علاق الحاذق الفطن الطب (٢٤)

وفى الوقت الذى رأينا فيه الأطباء يدافعـــون عن أنفسهم ، ويذودون عن حياضتهم ومراميهم ، رأينـــاهم

---

(٢٢) ابن سينا ، فى سبيل موسوعة فلسفية . لمصطفى غالب ، وأعلام العرب والمسلمين فى الطب للدفاع ص ١٦٧ .
(٢٣) عيون الأنباء ص ٢ ٦ .
(٢٤) المرجع السابق ص ٤٠٧ .

يتغنون بعلومهم ، ويفتخرون بذواتهم ، على غرار افتخار اسحق بن حنين العبادى ، المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة ، فى قوله :

أنا ابن الذين استودع الطب فيهم
وسموا به ، طفل وكهـــل ويافع

يبصرنى أرسـتطا ليس بارعــا
يقــوّم منى منطـــق لا يدافــع

وبقراط فى تفصيل ما أثبت الأولى
لنا الضر والأسقام طب مضـــارع

وما زال جالينوس يشفى صدورنا
لما اختلفت فيه علينـــا الطبـــائع

ويحيى بن ماسويه وأهرن قبـله
لهم كتب للناس فيهـــا منـــافع

رأى أنه فى الـ طب نيلت فلم يكن
لنا راحة من حفظها وأصـــابع (٢٥)

وفخر أبى الصلت أمية بن عبد العزيز ، (*) الممتزج بالشكوى ، التى جمعت له التألق من أطرافــه ، وسحبت عليه أذيال الحسن فى حوار رائع ، حيث يقول :

وقـــائلة ما بـــال مثلك خـــاملا
أأنت ضعيف الرأى أم أنت عاجز ؟

---

(٢٥) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(*) توفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة بالمهدية فى القيروان .

فقلت لها : ذنبى الى القوم اننى
لما لم يحوزوه من المجد حـــائز

وما فاتنى شىء سوى الحظ وحده
وأما المعـالى فهى فى غرائـــز (٢٦)

وليطب الأطبـــاء نفســا ، فلا ينبغى أن يكون فى صدورهم حرج ، لما أبداه بعض الشــعراء من سـلبيات تجاههم ، ويكفيهم تمنى الشاعر العذرى : قيس بن عامر الانتساب الى أسرة الطب ، ورغبته الصادقة فى أن يكون أحد الأطباء المعالجين ، ليتسنى له رؤية محبوبه ٠ وعلاج أدوائه ، حيث يجأر قائلا :

ألا يا حمـامات العـــراق أعننى
على شجنى ، وابكين مثل بكائيـا

يقولون ليــلى بالعراق مريضـــة
فياليتنى كنت الطبيب المداويـا (٢٧)

وهكذا أفصح الشعر عن موقف الشعراء من الأطبـاء ايجابا وسلبا ، ، وأثر ذلك فى رواد الحركة الطبية ، وكشف عن مشاعرهم تجاه الآخرين ، وانبلاج الاحساس بالذات عندهم ٠

---

(٢٦) المرجع السابق ص ٥١٤ ٠

(٢٧) ديوان مجنون ليلى ، تحقيق : عبد الستار فراج ، طبـع ونشر : مكتبة مصر ، ص ٣٠٦ ٠

المبحث السابع

الملامح الطبية
فى
الشعر العربى

الملامـح الطبيـــة
فى
الشـــعر العـــربى

ليس من المفروض أن يكون الشاعر طبيبا متخصصا ، أو أن يكون الشعر معجما طبيا ، وانمـا ينبغى أن يكون الشاعر على ذكر بكل ما يجرى من حوله ان لم يكن كله ، ليتم له مفهوم الثقافة ٠ التى تعنى : الأخـذ من كل فن بطرف ٠ أو : الجمع من كل بستان زهـرة ٠ حتى يفيض معينه الثقافى ويتلون ، ويتسنى له النهل منه حين يبدع ، فان أثر ثقافة الشاعر يظهر فى شعره لا محالة ؛

وقد برزت ثقافة الشعراء العرب الطبية فى أشعارهم تلكم التى غزت ـ دونما نكوص ـ ميادين طبية متنوعة ٠٠

اننا تبينا أن أطباءنا العرب قد عرفوا العـديد من أنواع الطب المعروفة ، بل انهم وقفوا على أنواع منه ، يعد ظهورها فى وقتنا الحاضر اكتشافا جديدا فى ميدان الطب يحدث ضجة اعلامية عالمية ، كالعلاج بالموسـيقى مثلا ، وأن هذه الحركة الطبية المتميزة قد واكبتها حركة أخرى ، هى : الحركة الشعرية ؛

اذ أن الشعراء ـ سواء منهم المختصـون بالابـداع الشعرى فى دولة القـريض ، أو من جمعـوا بين الطب والشعر ـ قد استلهموا الحركة الطبية ، وتجلى هذا الزاد الثقافى عندهم فى ابداعهم ، وتمثـل فى أخيلتهم ، ولا غرو ! فقد غزا الشعر ميدان الطب الوقائى ، والتشخيصى الذى يعنى : الالمام بملامح الأدواء ، وتمييزها بخصائصها وطب الأبدان بعامة ، والطب النفسى ، وما الى ذلك من الخوص فى الوراثة والطبع والتربية ، وهذا انما يدل على ازدهار الطب فى الساحة العربية ازدهارا رن صداه فى عالم الشعر ٠٠

وحرى بنا أن نؤكد سلفا على أن الشعر الذى مثل الحركة الطبية لم يتوفر جميعه على الصورة الابداعية الرائعة . فمنه ما اجتمعت له سمات الابداع الفنى ، ومنه ما لم يظفر منها الا باستقامة الوزن والقافية - مما يقربه من النظم ، ويبعده عن الشعر - ولا ريب أن هذا التفاوت راجع الى طبيعة منتجيه ، وتشكيل اتجاهاتهم ، اذ أن الابداع الفنى عند الشاعر غيره عند الطبيب المتشاعر ، بيد أن المقطوع به أن الشعر أدلى بدلائه فى عيون الطب وواكب حركته فى جل ميادينها . ومنها :

١ - الطب الوقائى :

لعل ميدان الطب الوقائى أكثر الميادين الطبية ، التى جرى فى مضمارها فرسان الشعر ، بدافع الحرص على حفظ الصحة وسلامة الأبدان من الأمراض ، « والعاقل يترك ما يحب ليستغنى عن العلاج بما يكره » .. وشيئان لا يعرفان الا بعد ذهابهما : الصحة والشباب ، وبمرارة السقم تعرف حلاوة الصحة ، وهذا كقول ابى تمام :

والحادثات وان أصابك بؤسها
فهو الذى أدراك كيف نعيمها (١)

ولهذا - أغناك الله عن الطب والأطباء . بالسلامة والشفاء - يقولون : « الوقاية خير من العلاج » ويقول بزرجمهر : « ان كان شىء فوق الحياة فالصحة ، وان كان شىء فوق الموت فالمرض ، وان كان شىء مثل الحياة فالغنى ، وان كان شىء مثل الموت فالفقر » (٢) .

---

(١) زهر الآداب للحصرى ٨٦٣/٢ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ٨٦٤/٢ .

« وكانت الحكماء تقول : اياك وشرب الدواء ما حملت صحتك الداء » .

ولعل هذه الحكمة من وصايا أبقراط – فى تفسير مفسرها : « الدواء اذا لم يجد داء يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها » (٣) وللشعر أثر بارز فى ميدان الطب الوقائى ومنه ما نسب الى الامام على رضى الله عنه :

توق مدى الأيام ادخال مطعم
على مطعم من قبل هضم المطاعم

وكل طعام يعجز السن مضغه
فلا تقربنه فهو شر المطاعم

ووفر على الجسم الدماء فانها
لقوة جسم المرء خير الدعائم

وفى كل أسبوع عليك بقيئة
تكن آمنا من شر كل البلاغم (٤)

وقول الامام الشافعى رضى الله عنه :

ثلاث هن مهلكة الأنام
وداعية الصحيح الى السقام

---

(٣) عيون الأخبار ٣/٢٧٤ .
(٤) المستطرف للأبشيهى ٢/٥٦٧ .

دوام مداومـــــة ودوام وطـء
وادخال الطعـــام على الطعـــام (٥)

وقيل : كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقتيل أنامله ..

فكـم أكـلة أكـلت نفـس حـــر
وكـم أكـلة جـلبت كـل ضـــر (٦)

ومنه قول منصور الفقيه لبعض اخوانه :

ان كنت فى الصـــحة ذا رغبـــة
فاعتض عن المجـــزرة المبقـــله

واستعمل الماس (*) وأشـــباهه
وباعـد الميـل عن المكحـله (*)

فانمـــا الجـــاهل كل امـــرئ
يأكل فى الصحـــة ماعـــن لـه (٧)

ومن وصايا ابن الصائغ العنترى الطبية قوله :

احفظ بنى وصيتى واعمـل بهـا
فالطب مجمـــوع بنص كـــلامى

---

(٥) ديوان الامام الشافعى : جمع وتعليق : محمد عفيفى الزغبى الطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٤ م ص ٧٤ .

(٦) المستطرف ٢/٥٦٦ .

(*) حب نافع للمحموم والمزكوم ، ملين .

(*) فى هذا التعبير تورية رائعة ، وأدب خلقى رفيع .

(٧) بهجة المجالس ١/٣٩٠ .

قدم على الطب المريض عنـــاية
في حفـــظ قوتـــه مع الأيـــام

بالشـــبه تحفظ صحة موجـــودة
والضـــد فيه شـــفاء كل ســـقام

أقلل نكاحـــك ما استطعت فانـــه
ماء الحيـــاة يراق فى الأرحـــام

واجعل طعـــامك كل يوم مـــرة
واحذر طعاما قبل هضم الطعـــام

لا تحقـــر المرض اليســـير فانـــه
كالنـــار يصـــبح وهى ذات ضرام

واذا تغـــير منـــك حـــال خـــارج
فاحتل لرجعـــة حل عقـــد نظام

لا تشـــربن بعقب أكـــل عاجـــلا
أو تأكلن بعقـــب شرب مـــدام ..

واذا الطبيعة منك نقت باطنـــا
فدواء ما فى الجـــلد بالحمـــام

اياك تـــلزم أكل شـــىء واحـــد
فتقـــود طبعـــك للأذى بزمـــام

والطـــب جملتـــه اذا حققتـــه
حـــل وعقـــد طبيعـــة الأجســـام (٨)

---

(٨) عيون الأنباء ص ٣٩٠ وما بعدها .

ويتضح تأثر العنترى فى التحذير من كثرة الجماع والطعام بالامام الشافعى رضى الله عنه (*) كما يتضح الالتباس على الدكتور الدفاع فى قوله : « كان ابن سينا يتمثل دائما ببيتين له من الشعر ، اتخذهما دستورا علاجيا ، وهما :

اجعل غذاءك كل يوم مرة
واحذر طعاما قبل هضم طعام

واحفظ منيك ما استطعت فانه
ماء الحياة يصب فى الأرحام (٩)

لأن البيتين لابن الصائغ ، وليسا لابن سينا ، ولعل ما دخلهما من تغيير بعض الكلمات يرجع الى الرواة والنقلة ، وقد أكد ابن ابى أصيبعة نسبة القصيدة لابن الصائغ (١٠) : مما يتأكد لدينا أن ابن سينا كان يتمثل دائما بهذين البيتين .. وأدرك الشعراء سوء أثر الطرى من المشمش على آكليه ، يقول ابن الرومى :

اذا ما رأيت الدهر بستان مشمش
فأيقن يقينا أنه لطبيب

يغل له مالا يغل لغيره
يغل مريضا حمل كل قضيب (١١)

(*) : بيد أن الشافعى كان اكثر ايجازا وتركيزا واوفر معنى من العنترى .

(٩) أعلام العرب والمسلمين فى الطب ص ١٤٣ .

(١٠) أنظر عيون الأنباء ص ٣٩١ .

(١١) محاضرات الأدباء ٤٣٠/٢ .

وأدركوا أن البطنة تصيب البدن بالأدواء ، وتسفه العقول ، يقول الأعشى :

يـا بنى المنـذر بن عبدان والبطـ
ـنة ممـا تسـفه الاحـلاما(١٢)

ولم لا ؟ وقد جاء « فى المسند وغيره : عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (١٣) ٠

ويغلب دوران وصاياهم الطبية حول هذه المعـانى المتصلة بالمعدة - التى هى بيت الداء - والعقل والباه ، ومن ذلك قول ابن أبى رقيقـة الشـيبانى - الذى عـالج الكثيرين من السلاطين الأيوبيين :

تـوق الامتـلاء وعـد عنـه
وادخال الطعـام على الطعـام

واكثـار الجمـاع فان فيـه
لمـن والاه داعيـة السـقام

ولا تشـرب عقيب الأكـل مـاء
فتسـلم من مضـرات عظـام

---

(١٢) عيون الأخبار ٢١٧/٣ ٠

(١٣) أخرجه أحمد ١٣٢/٤ والترمذى (١٣٨١) وابن ماجـة (٣٣٤٩) انظر زاد المعاد ١٧/٤ ٠

ولا عنـد الخوى والجـــوع حتى
تلهـــن باليســــــير من الادام

وخـل الســكر واهجــره مليـــا
فان السكر من فعـــل الطغـــام

وأحسن صون نفسك عن هواهــــا
تفــز بالخـــلد فى دار الســـلام(١٤)

وقوله ـ فى مقابلة لطيفة وتجنيس فى التفقية رائع :

ان الغذاء وان كان الصـديق لمـــا
هــو المدبــر أعنى قـــوة الوصب

فهــو العــدو لهـا أيضـا لأن بــه
زيادة الضـد أعنى عنصر الوصب(١٥)

ومن الناس من كانت تغلبه شهوته ،فيضرب بوصايـا الأطباء عرض الحائط ، كأبى الفــرج بن هنـدو(*) حيث يقول متظرفا مداعبا :

أوصى الفقيه العسكرى بـأن أكـف عن الشراب
فعصيته ، ان الشراب عمـارة البيت الخـراب (١٦)

ومنهم من كان لا ينصاع للأطباء أنفة وغطرسة ، فأبو

(١٤) عيون الأنباء ص ٧١٣ وما بعدهـا .

(١٥) المرجــع الســـابق ص ٧١٤ (الوصب الأولى : ما بين السبابة والخنصر ، والثانية : لمرض والوجع والألم الشديد) .

(*) ترجم له أبو منصور الثعالبى فى يتيمة الدهر .

(١٦) المرجع السابق ص ٤٣٣ .

ذفافة الباهلى لما اشتكى ، أشار عليه الأطباء بالحقنة ، فامتنع ، فأنشأ أعرابى يقول :

لقد سرنى - والله وقاك شرها -
نفارك منها اذ أتاك يقودها

كفى سوءة الا تزال مجبيا
على شكوة وفراء فى استك عودها (١٧)

٢ - طب الأبدان :

لاشك أن الشعر قد أدلى دلوه فى عيون الطب ، وأنه طلع علينا بالرائع فى مجال : الكشف عن أعراض الظواهر المرضية (التشخيص) ، ووصف الدواء (العلاج) ذلك لأن الطب لم يقف عند حد التوعية والتوجيه ، وانما يواجه أيضا الأمراض التى تصيب الأبدان ، فالحذر لا يغنى من القدر ، والانسان قد يلتزم بوصايا أولى البصر بالطب ، ثم يفاجئه المرض من حيث لا يحتسب ، ويبهت الأطباء ، كما بهت ابن هندو لمرض أحد أمراء وقته بالقولنج(*) ، فقال :

عجبت لقولنج هذا الأمير
وأنى ومن أين قد جاءه ؟!

وفى كل يوم له حقنة
تفرغ بالزب أمعاءه !!(١٨)

---

(١٧) عيون الأخبار ٢٧٥/٣ .

(*) مرض معوى مؤلم ، يعسر معه خروج الثقل والريح (ق و ل ن ج) القاموس .

(١٨) عيون الأنباء ص ٤٣٤ .

ومن ثم تألقت الشاعرية التى انتفضت للداء ، وجدت لاستئصاله ، وتنوع شعراء هذه الساحة بين طبيب متخصص يتعاطى الشعر ، وشاعر بارع له حظوة فى الثقافة الطبية ٠٠ وجدير بالذكر أن الدواء الذى كان الشعراء يصفونه لم يكن عشوائيا ، اذ كان يحظى بتأييد حاذقى الأطباء ، ومن ذلك : أن الفتح بن خاقان أهدى الى المتوكل ـ وكان قد افتصد ـ جارية ، على قدر رائع من الحسن والظرف والكمال ، فدخلت اليه ومعها جام ذهب ودن بلور فيه شراب ، ورقعة مكتوب فيها :

اذا خرج الامام من الدواء
وأعقب بالسلامة والشفاء

فليس له دواء غير شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء

وفض الخاتم المهدى اليه
فهذا صالح بعد الدواء

وكان بحضرة المتوكل يوحنا بن ماسويه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الفتح ـ والله ـ أطب منى فلا تخالف ما أشار به (١٩) ٠

وقد تتفوق عبقرية الشاعر الفنان ، فيخرج علينا بتجربة نادرة ، يتركنا حيالها مشدوهين ، لا يسعنا الا الاشادة والاطراء ، كما فى تجربة المتنبى الفريدة الرائعة فى « الحمى » التى أثنى عليها كل من له ذوق ، وحاسة ابداعية مرهفة ، والتى أشاد بها المتخصصون فى

---

(١٩) عيون الأنباء ص ٢٥٣ ٠

الطب من غير العرب ، فى عصرنا الحديث ، كالطبيب فتز باتريك الأستاذ فى كلية الأطباء الملكية في لنـــدن ، والمستشرق الدكتـــور ادوار دجى براون ، فقـــد قالا : « وللشاعر المتنبى الذى عاش فى القرن العاشر للميلاد قصيدة يصف فيها الحمى ، التى أصابته وهو فى مصر ، فيقـــول :

عليـل الجسـم ممتنــع القيـام
شديد السكر من غـــير المـــدام

ويستمر فى القصيدة فيشبه الحمى بغانيـــة تزوره تحت جنح الظـلام :

وزائرتى كـأن بهـــا حيـــــاء
فليســ تزور الا فى الظـــــلام

بذلت لهـــا المطارف والحشـــايا
فعافتهـــا وباتت فى عظـــــامى

يضيق الجلد عن نفسى وعنهـــــا
فتوسعـــه بأنـــواع الســـــــقام

اذا مـــا فارقتنـــى غســـــلتنى
كأنا عاكفـــان على حـــــــرام

كأن الصـــبح يطردهـــا فتجـــرى
مدامعهـــا بأربعـــة ســـــجام

أراقب وقتهـــا من غير شـــــوق
مراقبـــة المشـــوق المســـتهام

ويصدق وعدها والصدق شـــــر
اذا ألقاك فى الـكرب العظـــــام

وبهذا الوصف العجيب عبر المتنبى عن الهذيان وعودة الحمى كل ليلة والناقض الذى يسبقها والعـرق الشـديد الذى تنتهى به » (٢٠) ٠

ويدخل وصف المتنبى فى اطار الوقوف على معـالم الداء (التشخيص) ومثله ما قال أبو هـــلال العسكرى فى حمى نالته ، وان ذيله بلمحة علاجية :

تنفضـــنى الحمى ضـــحى وعشـــية
كمـا انتفضت فى الدجن قـاد متأنسر

تذر على الورس فى وضـــح الضحى
وتبدله بالزعفران لـــدى العصـــر

اذا انصرفت جاء الصـــداع مشـــمرا
فأربى عليهـــا فى الأذيـة والشـــر

وتجعـل أعضـــائى عيونا دوامعـــا
تواصل بين السكب والسـجم والهمـر

فتحســـبه طـــلا علـــى أقحـــوانة
وعهـــدى به يحكى حبابا على حمـر

ولمـا تمـادت عذت منهـــا بحميـــة
كمن ترك الرمضاء وانفل فى الجمـر

---

(٢٠) الطب العربى ص ٣٣ ٠

وما منهمـــا الا بـــلاء وفتنـــة
وضر على الأحـــرار يالك من ضر !!(٢١)

ومنه أيضا قول أبى الفتح البستى :

وقد يكتسى المـرء خـــز الثيـــاب
ومن دونهـــا حالـــة مضـــنيه

كمـن يكتسـى خـده حمـــرة
وعلتـــــه ورم فى الريـــــه(٢٢)

وفى وصـف الزكام والهيضة يقـول الوزير الرئيس الـكافى الأوحـــد :

ونزلة كنت أحمى وجه موردهـــا
ففاجأتنى على ضرب من الحمـــر

سدت على طريق الروح منتشـــقا
وأسلمتنى لأيدى الروع والخـــدر

وأنشأت مزنة فى الرأس مضرمـة
ينعق بارقها فى الســـمع والبصر

حتى اذا مخضتهـا مـــدة قـدرت
مدت بصفو حميم غـــير ذى كـدر

(٢١) ديوان المعانى ٢/١٧٠ وما بعدها .

(٢٢) أبو الفتح البستى : حياته وشعره ، د. / محمد مرسى الخولى ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ، ص ٣٧٦ .

ففى شؤونى حـــريق من تلهبـــه
وفى الخياشيم ضيق محصد المــزر

لا الفصد يغنى ولا ماء الشـعير ولا
طول احتمــاء اذا ما هـــم بالدرر(٢٣)

وقول العريان بن الهيثم لعبد الملك بن مروان :

ســـــلنى أنبئـــك بآيات الـــكبر
نــوم العشــاء وسـعال بالسحـــر

وقلــة النــوم اذا الليـــل اعتـــكر
وقلة الطعــم اذا الزاد حضـــــــر

وســرعة الطرف وتحميج النظـــر
وتركك الحسناء فى قبـــل الطهــر

والناس يبلون كما تبلى الشجر (٢٤)

وكشف الشعراء عن أسباب داء « النقرس »(*) فهــو يعرض لذى النعمة والترفه ومنه قول الأعرابى :

فصرت بعـــد الفقـــر والتـــأيس
يخشى على القـــوم داء النقرس

---

(٢٣) محاضرات الأدباء ٤٣٥/٢ .

(٢٤) عيون الأخبار ٣٢/٢ .

(*) النقرس : آلام المفاصل (ويقال : للرجل العالم نقرس ، قال المتلمس : يخشى عليك من الحباء النقرس .. ديوان المعــــانى ١٩٧٠/٢) .

ومنذ لك ما روى عن المبرد وأبى العيناء : أن أبا على الحرمازى كان فى ناحية عمرو بن مسعدة ، وكان يجرى عليه ، فخرج عمرو الى الشام مع المأمون ، وتخلف الحرمازى ببغداد لنقرس ناله ، فقال :

أقام بأرض الشام فاختل جانبى
ومطلبه بالشام غير قريب

ولا سيما من مفلس حلف نقرس
أما نقرس فى مفلس بعجيب ؟! »(٢٥)

ونبهوا الى أن السمنة قد تكون ورما ، كما فى قول المتنبى :

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم(٢٦)

وفى الجاهلية أفصح السليك بن السلكة عن الضعف الذى ينكى بالجسم « الأنيميا » فنبه الى أسبابه وأعراضه، فى قوله :

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة
وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرنى
اذا قمت تغشانى ظلال فأسدف(٢٧)

وللشعر الى جانب هذا الفحص والتشخيص باع فى علاج الأمراض لا تجحد ، كالعلاج بالحمية - الأزم - وهى

---

(٢٥) ديوان المعانى ١٦٩/٢ ، ١٧٠ .

(٢٦) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ٨٣/٤ .

(٢٧) الأغانى ١٣٥/١٨ .

رأس الدواء ، يقول ابن مسعود : « أصل كل داء ٠ البردة » يعنى التخمة »(٢٨) ويقول عبد الصمد بن المعذل :

وقالوا : شفاؤك فى حمية
تعود عليك بها النضره

فأصبحت فى بلد مخصب
ببلقعة جدبة ققفره

وما ألذ قوله :

اذا ما رأيت امرءا مطلقا
له الأكل تخنقنى العبره(٢٩)

والعلاج بالفصد ، ومن أجود ما جاء فيه قول ابن الرومى :

أيها البدر لم تزل فى كمال الا
مر بدرا وفى النماء هلالا

كيف كانت عقبى افتصادك كانت
صحة مستفادة واندمالا

واعتدالا بين المزاج كما أو
تيت فى الخلق والخلاق اعتدالا(٣٠)

---

(٢٨) أدب الكاتب ص ١٤١ ٠

(٢٨) أدب الكاتب ص ١٤١ ٠

(٢٩) الوساطة ١٠٧ ، ومحاضرات الأدباء ٤٢٨/٢ ٠

(٣٠) ديوان المعانى ١٦٨/٢ ٠

وحين شكا الوزير أبو طالب العلوى الى الشـــيخ « ابن سينا » الرئيس آثار بثر بـدا على جبهتـــه ، أجاب ابن سينا ، ووصف فى جوابه ما كـان به برؤه من دائه ، قائلا :

الله يشـفى وينفـى ما بجبهتـه
من الأذى ، ويعافيه برحمتـــه

أما العـــلاج فاســهال يقدمه
ختمت آخـــر أبيـــاتى بنسختـــه

وليرشف العلق المصاص يرشف من
دم القـذال ويغنى عن حجـــامته

واللحم يهجـــــره الا الخفيف ولا
يدنى اليـــه شرابا من مدامتـــه

والوجـه يطليه ماء الورد معتصرا
فيه الخلاف(*) مدافا وقت هجعته

ولا يضـــيق منـه الزر مختنقـــا
ولا يصيحن أيضا عنـد سخطتـــه

هذا العلاج ومن يعمل به ســيرى
آثار خيـــر ويكفى أمـــر علتـــه(٣١)

ونقل سامى حداد فى كتابه « مآثر العرب فى العلوم الطبية » شيئا من أرجوزة ابن ســينا ، المنظومة فى ألف

(*) نـوع من الصفصاف .

(٣١) عيون الأنباء ص ٤٥١ .

وثلاثمائة وأربعة عشر بيتا ، - وهى مخطوطة بمكتبة حداد الخاصة - من ذلك :

وكل ما تطلبه من كسر
فانما علاجه بالجبر

رد الشظايا فيه حتى تنطبع
ونشر ما ينخرها فتتجع

واحذر عليه أولا من ورم
سخن لما ينصب فيها من دم

وامنعه من تحرك كى يبرا
والزمه فى طول السكون الصبرا(٣٢)

وفى علاج الفتق يقول العرب : « ان دواء الفتق أن تحوصه » والحوص : الخياطة (٣٣) ويبين أبو عمر للشيخ أبى الوليد بن عباد كيف يعالج ما به من اسهال بقوله :

فاقبل النصح سيدى وأسمع القو
ل فانى أحكى عن الحكماء

لا يداوى الاسهال بالاحتساء
لاولا بالأمراق والباقلاء

انما الطب طردك الضد بالضـ
ـدو دفع الأهواء بالاحتماء

---

(٣٢) نقلا من : اعلام العرب والمسلمين فى الطب ، للدكتور / على الدفاع ص ١٤٤ وما بعدها .
(٣٣) مجمع الأمثال ١٠/١ .

حسم ذا الداء ما كان قوتا
يألف الطبع فى قوام الغذاء(٣٤)

وحكى الصفدى أن « أبا الحسين الجزار » شكا فى طريق الحجاز اسهالا ، فوصف له بعض الأطباء سفوفا ، فلما تناوله أفرط به الاسهال . فقال :

فتحت على بابا بالسفوف
وصلت به الى الأمر المخوف

ولكن الحكيم أراد خيرا
فجاء بغير ياء فى الحروف (٣٥)

وتأمل الشريف البياضى ومبضع الطبيب الجراح يجوس خلال جراحه ، وأى شىء خدره ، فشغله عن ألم هذه العملية الجراحية ٠ وذلك حيث يقول :

ولقد ذكرتك والطبيب معبس
والجرح منغمس به المسبار

وأديم وجهى قد فراه حديده
ويمينه حذرا على يسار

فشغلتنى عما لقيت وانه
لتضيق منه برحبها الأقطار(٣٦)

---

(٣٤) بهجة المجالس ٣٩١/١ ٠
(٣٥) الغيث المسجم ٣٧٨/٢ ٠
(٣٦) الغيث المسجم ٤٠/٢ وما بعدها ٠

« ولبشار بيت حسن فيه ذكر الصداع ـ ونوه بأنه يحدث من بعض الأشربة ـ وهو :

حل من قلبه محل شراب
يشتهى شربه ويخشى صداعه » (٣٧)

وفى داء « الشغاف » الذى قال عنه الأصمعى : داء يسيل من الصدر ، ويقال : انه اذا التقى والطحال مات صاحبه ، قال النابغة الذبيانى :

وقد حال هم دون ذلك داخل
ولوج الشغاف تبتغيه الأصابع

يعنى أصابع الأطباء تلتمسه ، تنظر هل نزل أم لا » (٣٨)

ويقول سديد الدين بن رقيقة فيم يشتهى العليل :

اذا ما اشتهى ذو علة بعض ما به
شفاء من الداء الذى جسمه حلا

فلا تمنعنه ما اشتهاه فربما
تراه وشيكا عقدة الداء قد حلا

وكان كما قد قيل فى مثل ما جرى
من السعد أن يلقى هوى صادف العقلا (٣٩)

والى العلاج بالحبة السوداء وفوائدها يشير محمد

---

(٣٧) ديوان المعانى ٢-/١٦٩ .
(٣٨) أدب الكاتب ص ١٤١ وما بعدها .
(٣٩) عيون الأنباء ص ٧١٤ .

ابن حجر الهيتمى فى قوله متلاعبا بالألفاظ :

يـــاذا الذى مـــن خـــاله حبـــة
سـودا فى الخـد الشـديد الصـفا

دعنـى أقبلهـــا تزيل الضـــنى
فالحبـة السـوداء فيهـا الشـفا (٤٠)

وكشف الشعر عن بعض الأمراض المعدية ، كالجرب، فالأجرب يعدى السليم ، ولذلك قال النابغة :

فـــلا تتـركنى بالوعيـــد كأننى
الى الناس مطلى به القار أجرب (٤١)

وقال كثير بن عبد الرحمن :

كـلانا بـه عـر فمن يرنا يقـــل
على حسنها جرباء تعدى وأجرب (٤٢)

ويلمح ابن هندو الى تجنب الناس مصافحته لجرب كفيه ، فى قوله :

يهيـــج مسرتى جـــرب بكفـــى
اذا مـاعـد فى الكـرب العظـام

تجنبنـــى اللئـــام لـــذاك حتـــى
كفيت بـــه مصـــافحة اللئـــام (٤٣)

---

(٤٠) ريحانة الألبا ٤٣٤/١ ٠
(٤١) ديوان النابغة ص ١٧ ٠
(٤٢) سبق ذمر البيت ، البحث ص ٦٠ ٠
(٤٣) الغيث المسجم ج ٢ ص ٢٢٩ ٠

كذلك أفصح الشعر عن العوامل الوراثية وتأثيرها فى النسل ، فالأعراق تضوى ، ونسل الأقارب يهزل ، ذكر الجاحظ « أن الأول وهو النابغة قد قال :

فتى لم تلده بنت عم قريبة
فيضوى ، وقد يضوى رديد الأقارب

وقال الأسدى :

ولست بضاوى تموج عظامه
ولادته فى خالد بعد خالد

تقارب من آبائه أمهاته
الى نسب أدنى من الشبر واحد (٤٤)

ومن ثم قال الآخر :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة
مخافة أن يضوى على سليلها

وكانوا يتخيرون لنطفهم لاعتبارات وغايات ، قال على رضى الله عنه :

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة
مدبرة ضاعت مرعوة داره (٤٥)

والاختيار الأمثل ينبى عن صاحبه ، والعكس صحيح ، يقول مسكين الدارمى ٠

---

(٤٤) البرصان والعرجان ص ٢٤ ٠

(٤٥) عيون الأخبار ١٤٦/٤ ٠

واذا الفـــاحش لاقـــى فاحشـــا
فهناكـم وافـق الشـن الطبق (٤٦)

٣ ـ الطب النفسى :

أبدأ هذه الحلقة الدراسية بقول أبى الفتح البستى :

يــا خـادم الجسـم كـم تشقى بخدمته
أتطلب الربـــح ممـــا فيـــه خسران ؟!

أقبــل على النفس واسـتكمل فضائلها
فانت بالنفس لا بالجســـم انســـان (٤٧)

لأن هذا القول يفيض بالدلالات التوجيهية العامة فى ميدان « الطب النفسى » وقاعدة العـلاج النفسى الناجع تتمثل فى تبادل الثقـــة بين كل من الطبيب والمريض ، ومرد ذلك الى عـدم الشـذوذ بين قول الطبيب وفعله ، والى هذه القاعدة ونتيجتها المرضـية أشار أبو الأســـود الدولى فى قوله :

لاتنه عـــن خلـــق وتأتى مثـــله
عـــار عليـــك اذا فعلت عظيـــم

يـــا أيهـــا الرجـل المعـلم غيـره
هــلا لنفسـك كـــان ذا التعـليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصــح بــه وأنت سـقيم ؟!

---

(٤٦) المستقصى ٤٣٣/١ .

(٤٧) تاريخ حكماء الاسلام للبيهقى ص ٥٠

ابـدأ بنفسـك فانهـا عن غيهـا
فاذا انتهت عنــه فأنت حكيــم

فهناك يسـمع مـا تقول ويشتفى
بالقـول منـك وينفع التعـليم (٤٨)

وللحفاظ على سـلامة النفس من السقوط فى درك الاحباط ، أو عدم التوازن بين مـا ينبغى أن يكون ومـا هو كائن ، قال النابغة :

ولسـت بمسـتبق أخالا تلمــه
على شعت ، أى الرجال المهذب !!

وقال بشـار بن بـرد :

اذا أنت لـم تشرب مرارا على القـذى
ظمئت ، وأى الناس تصـفو مشاربه !!

ومن ذا الذى ترضى سـجاياه كلهـا
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه (٤٩)

وكشف الشـعر عن تقويم النفس ، ومـا يكفكف من غلوائها ، وجدوى صحوة النفس اللوامة ـ الضمير ـ فى كـبح جماح النفس الأمـارة ، كمـا فى قـول أبى ذؤيب الهـذلى :

---

(٤٨) خزانة الأدب للبغدادى ٦١٧/٣ ، وانظر : كتاب منشـور الفوائد لابن بركات الأنبارى بتحقيق الدكتور حاتم الضـامن ص ٤٢ والأبيات بنسبتها فى ذيل ديوان أبى الأسود ص ٢٣٣ .

(٤٩) ديوان المعانى ١٩٦/٢ .

والنفس راغبـــة اذا رغبتهـــا
واذا تـــرد الى قليـــل تقنـــع (٥٠)

وقول البوصيرى :

والنفس كالطفل ان تهمله شـــب على
حـــب الرضـــاع وان تفطمه ينفطم (٥١)

وأروع بسداد قول أبى العتاهية :

ان كان لا يغنيـــك مـــا يكفيكـــا
فكـــل مـــا فى الأرض لا يغنيكا (٥٢)

ولهذا قالوا : « القنـــاعة كنـــز لا يفنى » وقال أبو العتاهية فى النفس ذات الشهوة الكلبية :

ومن كلفتـــه النفس فوق كفـــافها
فما ينقضى حتى الممـــات عناؤها (٥٣)

وألمح الشعر الى « الازدواج الأخلاقى فى الشخصية » كما فى قول زهير :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم (٥٤)

---

(٥٠) عيون الأخبار ١٨٥/٣ .

(٥١) ديوان البوصيرى ، تحقيق : محمد سيد كيلانى طبعـــة الحلبى (الثانية) .

(٥٢) عيون الأخبار ١٨٥/٣ .

(٥٣) ابو العتاهية اشعاره واخباره ص ٤ .

(٥٤) العمدة لابن رشيق ٢٨٣/١ .

وغلبة الطبع على التطبع ، كما فى قول ذى الاصبع العدوانى :

كـل امـرىء راجع يوما لشيمته
وان تخلـق أخـلاقا الـى حين (٥٥)

وفعل الهم والحزن بالجسم ، كما فى قول المتنبى :

والهم يخترم الجسـيم نحـافة
ويشـيب ناصية الغـلام ويهرم (٥٦)

وأدرك المتنبى أن السرور البـالغ ، بعد اليـأس والقنوط ، يفضى بصاحبه الى الموت ، وذلك حيث يقول فى رثاء جدته :

لـك اللـه من مفجوعة بحبيبهـا
قتيلة شـوق غير ملحقها وصـما

أتاها كتـابى بعد يأس وتـرحة
فماتت سرورا بى فمت بهـا غما (٥٧)

ذلك لأن الانفعالات النفسـية انما تسبب تغييرات فسيولوجية فى الكائن الحى .. وأحاط أبو العلاء المعرى خبرا بأن الشـخص الضـعيف حين يشـعر « بمركب النقص » فيه يحـاول أن يبرز ويتفـوق على أقـرانه وأنداده ، وذلك فى قوله :

---

(٥٥) المفضـليات ١/٦٥٨ .
(٥٦) العرف الطيب ص ٣٧٩ .
(٥٧) المرجع السـابق ص ١٧٥ .

لــو لــم تكن فى الناس أصــغرهم
مــــا بــان منــك عليهم كبــــر (٥٨)

يؤيد هذه النظرية أمين الدولة بن التلميذ ، - وزير الخليفة المستضىء بأمر الله - حيث يقول :

لنـــا صــــديق يهــــودى حماقته
اذا تكـلم تبـــدو فيــه مــن فيــه

يتيــــه والكلب أعلى منــه منزلة
كأنه بعــد لــم يخــرج من التيــه (٥٩)

ونبه الشعر الى اكتساب الصفات الأخلاقية ، وتنشئة الانسان على صفات منشئيه ومؤدبيه ، فى ايجابيتها أو سلبيتها ، يقول عبدة بن الطبيب :

لا تأمنوا قوما يشــــب ضـــبيهم
بين القــوابل بالعــداوة ينشــــع

ويقول صالح بن عبد القدوس :

وان مــن أدبتـــه فــى الصــبى
كالعــود يســقى المــاء فى غرســه

حتــــى تـــــراه مــــورقا ناضرا
بعــد الــذى قــد كــان فى يبـــه

ويقول ذو الرمــة :
يقــوم من ميــل الغــــلام المؤدب
ولا ينفع التأديب والرأس أشيب (٦٠)

---

(٥٨) انظر مجلة العربى العدد ١٨٦ ص ١١٠ .
(٥٩) عيون الأنباء ص ٣٤٩ وما بعدها .
(٦٠) كتاب الحيوان للجاحظ ٤٠/١ ، ٤١ .

وما أرق شفافية الأخطل ، حين كشــف عن أدوائـه النفســية ومعاناته ، من جانب ، وأدواء نفس زوجــه ومعاناتها من جانب آخر ، لما أويـا الى الفــراش ، فى قوله :

كــلانا على هــم يبيت كأنمـــا
بجنبيه من مس الفراش قـــروح

على زوجها الماضى تنــوح وانني
على زوجتى الأخرى كذاك أنوح (٦١)

وأيقن الشعر أن علاج ذوى المحتد والعراقة لا يلائـم علاج الأراذل السفلة ذوى الخســة ، قال يزيد بن مفرغ الحميرى :

العبــد يقـــرع بالعصـــا
والحـــر تكفيـــه المـــلامه (٦٢)

وقال أبو الطيب المتنبى :

اذا أنت أكرمت الكــريم ملكتـــه
وان أنت أكـــرمت اللئيم تمــردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى (٦٣)

وقد يدق المرض النفسى ، ويبقى مختبئا فى أعماق

(٦١) الأغانى ٣٩٨/٨ ٠
(٦٢) وســاطة الجرجانى ص ٢٦٣ ٠
(٦٣) شرح ديوان المتنبى للبرقوقى ١١/٢ ٠

النفس البشرية ، حتى يقضى صاحبه نحبه ، وقد صور هذا البعد الرائع شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) فى قوله :

تموت النفوس بأوصابها
ولم تدر عوادها ما بها

وما أنصفت مهجة تشتكى
اذاها الى غير أحبابها (٦٤)

ولا شك أن طريقة الايحاء لعبت دورا بارزا فى الطب العربى ، ومازالت تلعبه حتى الآن ، فقد يستولى الخوف بالايحاء والايهام على الخصم فيستسلم ، وقد تهيمن الغبطة والبهجة - عن طريق الايحاء - على المريض فيبرأ ويسلم ، يقول ابن الصائغ العنترى :

ولعقل تدبير المزاج فضيلة
يشفى المريض بها وبالأوهام (٦٥)

« عن عبد الملك بن عمير قال : كان أخوان من ثقيف من بنى كنة يتحابان ، لم ير قط أحسن ألفه منهما ، فخرج الأكبر الى سفر ، فأوصى الأصغر بامرأته فوقعت عينه عليها يوما ، غير معتمد لذلك - فهويها وضنى ، وقدم أخوه فجاءه بالأطباء ، فلم يعرفوا ما به ، الى أن جاءه بالحارث بن كلدة فقال : أرى عينين محتجبتين ، وما أدرى ما هذا الوجع ، وسأجرب ، فاسقوه نبيذا . فلما عمل النبيذ فيه قال :

---

(٦٤) الدرر الكامنة لابن حجر ١٥٩/١ .

(٦٥) عيون الأنباء ص ٣٩١ .

ألا رفقـــا ألا رفقـــا
قليـــلا مـــا أكـــونـنـه

ألمـا بـى الـى الأبيـــا
ت بالخيـــف أزرهنـــه

غــزالا مـــا رأيت اليـــو
م فــى دور بنــى كنـــه

أســـيل الخـد مـربوب
وفــى منطقـــه غنـــه

فقالوا له : أنت أطب العرب . ثم قال : رددوا النبيذ عليه . فلما عمل فيه قال :

أيهـا الجيـرة اســلموا
وقفـــوا كـى تكلمـــوا

وتقضـــــوا لبــــانة
وتحبــــوا وتنعمــــوا

خــرجت مزنة من البحــر ريـا تحمحم

هى مــا كنتى(*) وتــز
عـــم أنـــى حـــم

قال : فطلقها أخوه ، ثم قال : تزوج بها يـا أخــى ، فقال : والله لا تزوجتها . فمات وما تزوجها » (٦٦) .

(*) امرأة الابن ، وتقال لامرأة الأخ وابن الأخ .

(٦٦) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ١٦٦ .

وقد اشتهر ابن سـينا بمقدرته الفائقة على معالجة المرضى بأسلوب التحليل النفسى (*) ، ونجح فيه نجاحا باهرا ، مما تتأكد معه خبرته بعـلم النفس ، ومع ذلك فقد كانت تنتابه الحيرة الشديدة فى أمـر هذه النفس ، وقصيدته فى النفس توحى بكل هذه الفلسفات والمعانى ، والتى منها :

هبطت اليك من المحـل الأرفـع
ورقـاء ذات تعـزز وتمنـع

محجوبة عن كـل مقـلة عارف
وهى التى سـفرت ولـم تتبرقع

أنفت وما أنسـت فلما واصـلت
ألفت مجـاورة الخـراب البلقع ....

سجعت وقد كشفالغطاءفأبصرت
مـا ليس يدرك بالعيون الهجـع ....

فلأى شـىء أهبطت من شـامخ
عال الى قعر الحضيض الأوضع ؟!

ان كان أهبطهـا الاله لحكمـة
طويت عن الفـذ اللبيب الأروع

فهبـوطها لاشـك ضربة لازب
لتكون سامعة بما لـم تسمع ...(٦٧)

(*) يعنى : اخراج ما اسـتقر فى العقل الباطن الى العقـل الظاهر ، لتخفيف الضغط على النفس .

(٦٧) المرجع السـابق ص ٤٤٦ ، وانظر : من أعلام الطب العربى للتوانسى ص ١١٧ .

فسبحان من استأثر بعلم كل شىء ومن هو يعلم السر وأخفى ومن له الحمد فى الأولى والآخرة ، ومن قال ، وقوله الحق ، : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أو تيتم من العلم الا قليلا » (٦٨) .

---

(٦٨) سورة الاسراء الآية ٨٥ .

المبحث الثامن

عيـــادة المرضـــى
والتهنئــــة بالشـــفاء

عيادة المرضى والتهنئة بالشـفاء

عرف المجتمع العربى العلائق الانسانيه منذ أن كان يرزح تحت نير الجاهليه ، وجاء الاسلام ، فدعا الى دعم هذه الروابط ، وتقوية هذه العلائق الانسانية ، واستنفر الناس الى اهتبال الفرصة تجاه أية غـاية نبيلة ، من شأنها تقوية أواصر المحبـة ، وتقـليم أظفار الفـرقة ، وتقويض براثن التمزق الاجتماعى ٠

وغدا نادى القوم لذلك تتهلل أساريره لخير أصابه أحد القوم ، ويقطب جبينه لألم ألم بأحد القوم ٠ مشاركة وجدانية رائعة بعثها فى النفوس الدين الاسلامى الحنيف الذى جعل معتنقيه - على كثرتهم - بمثابة الجسـد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو جاوبته سائر الأعضاء ٠٠

وتاتى فى صدر هذه العلائق الانسانية ، والمشاركة الوجدانية ، عيادة المريض ٠

وقد وقف الشـعر على آداب العيـادة من مراعاة الوقت الملائم ، وعدم الاطالة ، يقول جعفر بن حـذار الكاتب :

ان العيـادة يوم بين يوميـن
واقعد قليلا كلحظ العين بالعين

لا تبرمن مريضـا فى عيـادته
يكفيك من ذاك تسآل بحـرفين (١)

---

(١) بهجة المجالس ٢٦٣/١ ٠

ويتضح ذلك أيضا فى ضوء قول بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده :

« المريض يعاد ، والصحيح يزار » (٢) ٠

ومنها : تبشير المريض بالبرء وتنشيطه ، وتهوين ما به ، ليبعث فيه الأمل ، ويحدو به نحو الشفاء ، يذكر ابن قتيبة : أن « الناس أرجفوا بعلة معاوية وضعفه ، فدخل عليه مصقلة بن هبيرة ، فأخذ معاوية بيده ، ثم قال يا مصقل :

أبقى الحوادث من خليلك مثل جندلة المراجم
قد رامنى الأقوام قبلك فامتنعت من المظالم

فقال مصقلة : أما قول أمير المؤمنين : « أبقى الحوادث من خليلك » فقد أبقى الله منك جبلا راسيا وكلا مرعيا لصديقك وسما ناقعا لعدوك ٠ وأما قولك : « قد رامنى الأقوام قبلك » فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيان سيدهم ، وأصبح الناس مسلمين وأصبحت أميرهم ، فأعطاه معاوية ، فخرج ؛ فسئل عنه فقال : والله لغمزنى غمزة كاد يكسر منها يدى وأنتم تزعمونه مريضا ؟ » (٣) ٠

ومن ذلك ما روى أن الشعبى لما عاد عبد الملك بن مروان ، واطلع على يأسه من تمثله بقول لبيد :

قامت تشكى الى النفس مجهشة
وقد حملتك سبعا بعد سبعين

---

(٢) عيون الأخبار ٤٤/٣ ٠
(٣) المرجع السابق ٥٠/٣ ٠

فان تـزادى ثلاثـا تبلغى أمـلا
وفى الثـلاث وفـاء للثمـانين

نهض الشعبى قائلا : فلما بلغ تسعين حجة قال :

كأنى وقد جاوزت تسـعين حجـة
خلعت بهـا عن منكبى ردائيـا

فلما بلغ عشرا ومائة سنة قال :

أليس فى مائـة قد عاشـها رجـل
وفى تكامل عشر بعدها عمـر ؟!

فلما جاوزها قال :

ولقد سئمت من الحيـاة وطولهـا
وسـؤال هذا النـاس كيف لبيـد ؟ (٤)

وقال المدائنى : دخل كثير عـزة على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت اللـه أن يصرف ما بك الـّى ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ولى فى كنفـك النعمة ، فضحك وأمر له بمال ، فقال :

ونعـود سيدنا وسـيد غيرنا
ليت التشـكى كـان بالعـواد

لو كان يقبل فديـة لفديتـه
بالمصطفى من طارفى وتـلادى (٥)

---

(٤) المعمرون والوصـايا للسجستانى ص ٥٨ (ط الحلبى) والأغانى ٩٦/١٤ ، والاصابة لابن حجر ٦٧٨/٥ .
(٥) عيون الأخبار ٥٠/٣ .

ومن آداب العيادة : عدم ادخال العـــائد اليأس من البرء على قلب المريض ، باسماعه مالا يحمد ، حيث ذم القوم رجلا « عاد عليلا ، فقال : ما علتك ؟ قال : وجـع الركبة ، فقال : ان جريرا يقول بيتا ذهب عنى صـدره ، وآخـــره :

.. وليس لداء الركبتين دواء (*)

فقال : ليت ما ذهب عنك عجزه مع نفسك » (٦) .

وما أرق وأحلى قول مهذب الذين عبد الرحيم بن على لرشيد الدين على بن خليفة حين عاده فى مرضـــة مرضها : ـ وان تلاعب بالمصطلحات العلمية ـ

يـا من أؤمـــله لكـــل ملمـــة
وأخـــاف أن حدثت لـــه أعراض

حوشيت من مرض تعاد لأجـــله
وبقيت مـــا بقيت لنـــا أعراض

انا نعـدك جوهـــرا فى عصرنا
وسـواك ان عدوا فهـــم أعراض (٧)

والناس يهرعون لعيـــادة المرضى ، يقـول السراج الـــوراق :

(*) البيت هو :

تحنى العظـام الراجفـات من البـــلى
وليـــس لـــداء الركبتـــين طبيب

(الكامل للمبرد ٢٧٢/٢) .

(٦) محاضرات الأدباء ٤٤١/٢ .

(٧) عيون الأنباء ص ٧٣٥ .

مرضـــت ، للـــــه قـــوم
مـــا فيهـــم من جفــــانى

عـــادوا وعـــادوا وعــــادوا
عـلى اختـلاف المعـــانى (٨)

وأرق منه وأرقى قول سحيم عبد بنى الحسحاس :

تجمعـــن من شتى ثلاث وأربـع
وواحـــدة حتى كمــلن ثمانيـــا

يعدن مريضـا هن هيجــن داءه
ألا انما بعض العـــوائد دائيـــا (٩)

وقد يتجشم الناس الصعاب فى سبيل العيادة ، مثلما يتراءى لنا فى قول العوام بن عقبة :

ونبئت سوداء الغميم مريضـــة
فأقبلت من أهلى اليهـا أعودها

فو الله ما أدرى اذا أنا جئتهـــا
أأبرئها من دائها أم ازيدهـا ؟ (١٠)

وقول الطغرائى - وهو أخبر بالموقف من العوام - :

خبروهـا أنى مرضـــت فقـالت
أضنى طارفا شـكى أم تليـــدا ؟

---

(٨) الغيث المسجم ٤٦/١ ٠
(٩) الزهرة لابن داود ٧٧/١ ٠
(١٠) شرح الحماسة للمرزوقى ، بتحقيق عبد السلام هارون ١٤/٤ ٠

وأشـــاروا بأن تعــود وســـــادى
فأبت وهى تشـتهى أن تعـــودا

وأتتنى فى خيفـة وهى تشـــكو
ألـم الوجـد والمـزارَ البعيـــدا

ورأتنى كـــذا فـــلم تتمـــالك
أن أمالت على عطفـا وجيـــدا (١١)

ومن عجب أن يعود مريض صحيحا ، كما فى قــول المؤمل بن أميل المحاربى ـ من شعراء الحماسـة ١٤٦/٣ وهو شاعر عباسى ـ :

اذا مرضــنا أتينــاكم نعـــودكمُ
وتذنبـــون فنأتيـــكم فنعتـــذر (١٢)

والعباس بن الأحنف :

قالت : مرضت ! فعدتها فتبرمت
وهى الصحيحة والمريض العائـد

واللـــه لو أن القـــلوب كقلبهـا
ما رق للولـــد الضـعيف الوالد (١٣)

وأعجب من هـذا تمـــنى الصحيح المرض لتعـــوده محبوبته أو تراسله ، كما هو حال أبى هلال العسكرى ، حيث يقول :

---

(١١) الغيث المسجم ٤٦/١ .
(١٢) الزهرة ٩٦/١ .
(١٣) محاضرات الأدباء ٤٤٠/٢ .

وقلت عساها ان مرضت تعودنى
فأحببت لو أنى غدوت مريضـــا

وحال قدامة بن جعفر حيث يقول :

يود بأن يمسى ســـقيما لعلهـــا
اذا سمعت منه بشكوى تراسـله (١٤)

ومن الناس من يحجم عن عيادة من يعرف من المرضى فيؤذى بذلك المريض ، اذ يصبح ملتاعا من نارين : المرض والجفاء ، فيصرخ نادبا حظه ، شاكيا وجده ، كما شـــكا جحظة البرمكى قائلا :

مرضت فلم يكن فى الأرض حـــر
يشـــــرفنى ببـــر أو ســـــلام

وضـــنوا بالعيـــادة وهى أجـــر
كأن عيـــادتى بـــذل الطعـــام (١٥)

وعبد الله بن مصعب الزبيرى فى قوله :

مالى مرضت فلم يعـدنى عائـد
منكم ويمـرض كلبكم فأعود !! (١٦)

وابن الرومى فى قوله :

عليـــكم لا يعـــاد من عـــلله
وضـــيفكم لا يســـد من خـــلله

---

(١٤) ديوان المعانى ٢٦٨/١ ٠

(١٥) المرجع السابق ٤٣٩/٢ ٠

(١٦) بهجة المجالس ٢٦٣/١ ٠

لا ان جفـــوتم دنا المـــات ولا
ان زرتـــم تنســـئون فى أجـــله

مـــا ضر مجفـــوكم جفـــاؤكم
بالأمس فى جســـمه ولا أمـــله (١٧)

وقول محمد بن محمد بن ابراهيم اليزيدى :

مـــالى مرضـــت فلم تعـــد
ورغبت فيـــك فلم تجـــد

الحـــب يذهبـــه الأذى
فاحـــذر عليـــه ولا تعـــد (١٨)

ومن المرضى من يحزنه جفـــاء شخص بعينه ، لأن له فى قلبه منزلة عالية ومكـــانة سامية ، وما كان يظـــن ظنـــا أن مثله يتأتى منه هذا الجفاء ، ومن ثم راح الرجل التميمى يتوجـــع قائـــلا :

ألا ما للحبيبـــة لا تعـــــود ؟
أبخـــل بالحبيـــة أم صـــدود ؟

مرضت فعـــادنى قومى جميعـــا
فمالك لم ترى فيمن يعـــــود ؟!

ففقدتك بينهـــم فبليت وجـــدا
وفقـــد الالف يا سكنى شـــديد

وما استبطأت غـــيرك فاعلميـــه
وحـــولى من بنى عمى عديـــد

---

(١٧) ديوان المعانى ١٧١/٢ .
(١٨) المرجع السابق ١٧١/٢ .

فلو كنت السقيمة جئت أســعى
اليـك ولـم ينهنهنى الوعيـــد(١٩)

ومثله فى شـكايته وتوجعه أبو هـلال العسـكرى ، اذ يقـول :

وقد عادنى الاخـــوان من كل جانب
وما قصروا فى العرف والفضل والبر

فلم لم تكن فيهـم فيكمـل حســـنهم
أيا ظالما أخلى النجـوم من البـــدر

واذ كنت لـم تنهض الى ولـم تكـد
فلم لم تسل عنى فتخبر عن أمـــرى

تضـن بتســـليم وزورة ســـاعة
فكيف يرجى جود كفيك بالوفـــر ؟!(٢٠)

ومثلهما فى الأسى والوجـد سراج الدين الـوراق ، حيث يقـول :

قال صـــــديقى ولـــم يعدنى
وعـارض الســـقم فى أثـــر

لقـــد تغيرت يا صـــديقى
ويعـــلم اللـــه من تغـــير(٢١)

وقد نهض الشعر معتذرا لأصحاب هـذه الشـكايات

(١٩) عيون الأخبار ١٢٨/٤ .

(٢٠) ديوان المعانى ١٧١/٢ وما بعدها .

(٢١) الغيث المسجم ٤٦/١ .

ومن على شاكلتهم ، فهـذا كثير بن عبـد الرحمـن يعـتذر قائـلا :

ألا تلك عـزة قـد أقبـلت
تقـلب للبين طـرفا غضيضـا

تقـول : مرضـت وما عدتنـا
فقلت لها : لا أطيـق النهوضـا

كـلانا مريضـان فى بلـدة
وكيف يعـود مريض مريضـا ؟(٢٢)

ويقول الخوار زمى معتذرا فى تلطف :

ان كنت فى ترك العيـادة تاركا
حظى ، فانى فى الدعاء لجاهـد

ولربما ترك العيـادة مشـفق
وأتى على غل الضمير الحاسـد(٢٣)

وآنئذ تطيب تهنئة من برأ من دائه ، ووصل بـرد العافية الى أحشائه ، وانقشـع عنـه الألم ، باند حار السقم ، وواتته السلامة الفائضة ، وتنحت عنه الشكاة العارضة ، وها هو أشجع السلمى يهنىء أحمد بن يزيـد ابن أسـيد قائـلا :

لئـن جرحت شـكاتك كـل قلب
لقـد قرت بصـحتك العيـون

---

(٢٢) عيون الأخبار ٤٤/٣ .

(٢٣) بهجة المجالس ٢٦٢/١ .

وحـق لهـــا بأن تخشى المنايـا
عليــك وأنت منكبهـــا اليمين(٢٤)

وقال يهنىء يحيى بن خالد ـ البرمكى ـ :
لقـد أمســى صـلاح أبى على
لأهـــل الأرض كلهم صــلاحا

اذ اما الموت أخطـــأه فلســـنا
نبالى الموت حيث غـدا وراحــا(٢٥)

وقال أبو تمام :

سـقم أتيح لـه بـرء فزعزعـــه
والرمح ينآد طورا ثم يعتـــدل

قد حال لون فــــرد الله نضرته
والنجم يخمد حينـا ثم يشـــتعل

وقال المتنبى ـ لسيف الدولة ـ :

صحت بصحتك الغـــارات وابتهجت
بهـا المــكارم وانهلت بهـــا الـديم

وراجــع الشـــمس نوركان فارقهـــا
كأنما فقـــده فى جسمهـــا ســقم »(٢٦)

ويهنىء أبو هلال العسكرى فيقول :

---

(٢٤) أشجع السلمى : حياته وشعره للدكتور / خليل الحسون، الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٩٨١م ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٢٥) أشجع السلمى : حياته وشعره ص ٣٠١ .

(٢٦) محاضرات الأدباء ٢/٤٤١ .

لقـد سرنى أنى رأيتـك واطئـا
على عقبـى داء تراخـى فأدبـرا

وقد ظل يبغى رائـد البرء مـوردا
لديك ويبغى فارط السـقم مصـدرا

ولا غـرو أن يغشاك عارض عـلة
فانى رأيت الورد يغشى الغضـنفرا

ولو كنت نجمـا ما كسفت وانمـا
كسـوفك ان أمسـيت بدرا منـورا(٢٧)

وندعو الله جلت قدرته وتعالت حكمته أن يدر لكل مريض صـوب العافية ، ويضـفى عليـه ثـوب الـكفاية الوافية ، وأن يوصل اليه من برد الشفاء ما يكفيه حـر الأدواء ٠٠ ونسأله وهو ذو الفضل والكرم ألا يعل لنـا جميعا جسما ولا حالا ، وألا يمرض لنا نفسـا ولا بالا ، ونرجوه جل وعلا أن يعفونا جميعا من معـاناة الألم ، ويعافينا من وطأة السقم ، وأن يجعلنا فى منبلج الصحة ، وينظمنا فى سلك النعمة ٠٠ انه على ما يشـاء قدير ، وبالاجابة جدير ٠

---

(٢٧) ديوان المعانى ١٦٧/٢ ٠٠

المبحث التاسع

انتزاع الصور الأدبية والحكم

من ميـدان الطـب

انتزاع الصور الأدبية والحكم

من ميــدان الطــب

لا ريب أن الشعر تعبير عن تجربة شعورية فى صورة موحية راقية ، وأن الشاعر يشعر بمالا يشعر به غيره ، وأن كل مافى الحياة عظم أوهان ـ من حول الشاعر ـ يمكن أن يكون تجربة شعورية ، يتدفق بعد الانفعال بهـا والتفاعل معها الخلق الأدبى والابداع الفنى ، وأن نجاح التجـربة انما يكون بقدر مـا تخلعه على الانسـانية من فوائد ، وما تضيفه من جديد طريف ، وأن الشعر يظـل رؤية مستبطنة وخاطرا جياشا ، حتى يتنفس كالصبح اذا أسفر ، فيتحول الى موقف ذى معالم وكيان ، ينمو بمقدار نمو الرؤية وانكشافهـا لدى الشـاعر ؛ فنستشـعر بوعى وصدق مقدار ما فى التجربة الشعرية من صدق فنى ٠

وليس من الحتـم فى صـدق التجـربة الشـعرية أن يعيش الشاعر أبعادها ، أو أن يعانيها بنفسه ، بل يكفى أن يتمثلها وينفعل بوقعها ، وأن تسـيطر على وجـدانه وتهيمن على مشاعره ، فتعنّيه ان كانت معاناة ، وتبهجه ان كانت مبهجة ، فيبدو الشاعر وان لم يكن صاحبها ، كأنه صاحبها ٠ لأنه انما يعيش أبعاد التجربة بطريقته ٠٠ وقد يهيىء الخيال اللماح للشاعر مالم يقع له فى الواقع ولم يكن بين راحتيه ٠٠ والشاعر المتألق يستطيع أن يتصور الواقع وأن يجسمه بقوة ملاحظته وبراعة خياله ٠٠ ومن ثم فليس من الضرورى انغماس الشاعر فى التجربة ليتأتى له تصويرها ٠ ولقد رأيت كيف صور الشعراء فى حقـل الطب تجاربهم وتجارب غيرهم ، هذه التى رن صداها فى أعماقهم ، وكيف توفرت على أبعاد النفس ، وتدفق

الشعور . وعمق التجربة ، وصدق الاحساس ، والتجاوب الوجدانى ، مما أكسبها الصـدق الفنى ، فى ذاتيتهـا أو انســـانيتها ..

وهلم عزيزى المتلقى ـ حرصك الله ـ الى هذا الشعر نقتبس منه بعض الصور الأدبية ، والتى اشتمل عليهـا أسلوبه ، ذاك أن الأسلوب انما هو الصدى الحقيقى لقوى المشاعر والعواطف والانفعالات التى يعبر عنها ..

فلقد أمدت الشعراء أخيلتهم بالكثير من الصـور ، جعلت معـانيهم شـديدة التـأثير فى النفـوس ، قـوية الاستحواذ على القلوب .. ومما يجدر التنويه به .. أن ميدان الطب قد أفاد منه الشعراء حين يمموا سـاحته أيما فائدة ، فعلوا من ألفـاظه ، ونهلـوا من أسـاليبه ، وحاكوا فى تصويرهم الأدبى صورا طبية ، وصبوا هـذا كله فى قوالب أشكال فنية رائعة ، تنبى عن ثقـافتهم ، وروعة تجربتهم ، وحرصهم على اصطياد الأفكار والصور من شتى المصادر ..

ولم يجد النقاد وأولو البصر بالأدب سبيلا الى الطعن فى صور الشعراء المنتزعة من ميدان الطب ، فأحاطوها بهالات من الاعجاب والاكبـار فقد اتـكأ العسـكرى فى التمثيل للتشبيه الذى به حركة على قول عنترة :

غـردا يحـك ذراعـــه بذراعـه
قدح المكب على الزناد الأجـذم (١)

---

(١) كتاب الصناعتين ٢٧٠ .

ويقال : « انه لم يقل فى معنى هذا مثله » (٢) وذلك مصداق قول ابن قتيبة : « ومما سبق اليه ولم ينازع فيه » قـــوله :

وخلا الذباب بهـا فليس ببـارح
غـردا كـفعل الشـارب المتـرنم

هـز جـا يحك ذراعـه بذراعـه
فعل المكب على الزناد الأجـذم

« وهذا من أحسن التشبيه » (٣) .

وقول عنتـرة :

ولقـد شفى نفسى وأبـرأ سقمهـا
قيل الفوارس : ويك عنتر أقـدم (٤)

فنراه مشتملا على أبعاد نفسية ووجدانية وفنية جـد رائعة ، قوّى هذه الأبعاد وجمّلها انصهارها فى بوتقـة الطـــب ..

واستجاد ابن قتيبة قول النابغة الذيبانى فى صـــفة المـــــــرأة :

نظـرت اليك بحاجة لـم تقضـها
نظر السقيم الى وجـوه العـوّد (٥)

---

(٢) انظـر الديـــوان ص ١٩٨ ، وشرح الزوزنى ص ١٤١ ، والتبريزى ١٨٢ (وعندهما : هزجا) .

(٣) الشعر والشعراء ص ١٥٥ .

(٤) ديوان عنترة ص ٢١٩ .

(٥) الشعر والشـعراء ص ٩٨ .

وقـول لبيد :

ذهب الذين يعـاش فى أكنـافهم
وبقيت فى خـلف كجلـد الأجرب

فقد نبل فى عيون أولى البصر ، وأضحى مثلا سائرا يتمثل به ، ويكفى أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تتمثل به وتقول : رحم الله لبيدا كفيف لو أدرك زماننـا هذا ؟! (٦) .

« ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة فى مرضه : لولا ما منّ الله به من بقائك ، لكنا كما قال لبيد : ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... البيت » (٧) .

أخذه الرياشى وأنشد مطنبا :

اذا ذهـب التـكرم والوفـاء
وبـاد رجـاله وبقـى الغثـاء

وأسـلمنى الـزمان الى رجـال
كـأمثال الـذئاب لهـا عـواء

صـديق كـلما استغنيت عنهـم
وأعـداء اذا جهـد البـلاء

اذا مـا جئتهـم يتدافعـونى
كـأنى أجـرب أعـداه داء

أقـول ولا ألام على مقـال
على الاخـوان كـلهم العفـاء (٨)

---

(٦) الاصابة ٥/٦٨٠ ، والاستيعاب ٣/١٣٣٧ .

(٧) الكامل للمبرد ٤/٣٣ .

(٨) مختار العقد الفريد لابن عبد ربه ص ١٢٨ .

وأخذه السراج الوراق فقال :

زعمــوا لبيدا قال فى عصر لــه
وبقيت فى خلف كجلد الأجــرب

وأراه أعــدى خلفـــه من خلفــة
جــربا وأعيــا الداء كــل مجرب

وتضاعف الجرب الذى عدواه لا
تنفـــك عن مــاض ولا متعقــب

وتفــاقم الداء العضـــال فخلفنــا
بلغ الجــذام وعصرنا عصر وبى (٩)

وهل ينكر متــذوق جمال الصــورة البيانية وبهــاء تشكيلها فى قول الفرزدق :

أنا القطران والشــعراء جــربى
وفى القطــران للجربى شفاء ؟ (١٠)

وهل ينكر متذوق روعة التصوير ووقعه فى قول سهل ابن هــارون :

أعان طرفى على جسمى وأعضائى
بنظرة وقفت جسمى على دائى

وكنت غرا بما تجنى علىّ يــدى
لاعلم لى أن بعضى بعض أعدائى؟(١١)

---

(٩) الغيث المسجم ٢٢٣/٢ وما بعدها .

(١٠) بدائع البدائة ص ١١١ ، وديوان الأخطل ٢٥٨/١ .

(١١) ديوان المعانى ٢٨٢/١ .

بيد أن أروع منه ـ لبعده عن التكلف وجربه مع الطبع ـ قول العباس بن الأحنف :

قلبـى الـى مـاضرنى داعـى
يـكثر أسـقامى وأوجـاعـى

كيف احتـرازى من عـدوى اذا
كان عـدوى بين أضـلاعى ؟! (١٢)

وتأمل هذه الصـورة التى التقطها « مجهـر » أوس ابن حجـر التميمى تر الابداع يفيض من أقطارهـا ، فى حيث يقـول :

ترى الأرض منـا بالفضاء مريضهً
معضـلةً منـا بجمع عـرمرم (١٣)

وقد لحظتها ليلى الأخيلية فقالت منشدةً الحجاج :

اذا ورد الحجاج أرضـا مريضـة
تتبـع أقصـى دائهـا فشـفاها

شفاها من الداء العضال الذى بهـا
همـام اذا هـز القنـاة ثناهـا (١٤)

وما أرق الصورة وأنداها فى قول الشمردل بن شريك اليـربوعى :

---

(١٢) أنظر المرجع السابق والصفحة .
(١٣) ديوان المعانى ٢/٦٨ .
(١٤) الكامل ١/ ٣٠ .

اذا بدا المسك يندى فى مفارقهم
راحـوا كأنهم مرضـى من الـكرم (١٥)

وما أجلى الصورة الأدبية التشكيلية وأحلاها فى قول القاضى الجرجانى :

طـرفك أمضى من حـد مبضـعه
فالحظْ به العرق واغتنم ألمـك (١٦)

ومن التشبيه القاصد الصحيح قول شأس بن نهـار العبـدى :

تبيت الهموم الطارقات يعـدننى
كما تعترى الأوصاب رأس المطلّق(١٧)

ومنه ما حملته هذه الصورة الـرائعة فى قـول أبى نـواس :

فتمشـت فى مفـاصـلهم
كتمشـى البـرء فى السـقم (١٨)

وهناك من الصور الأدبية صور انتزعها الشعراء من البيطرة ، كما فى قول النابغة :

فـلا تتركـنى بالوعيـد كـأننى
الى الناس مطلى به القار أجرب

---

(١٥) الكامل ٥٧/١ .
(١٦) ديوان المعانى ١٦٨/٢ .
(١٧) كامل المبرد ١٣٠/٣ .
(١٨) كتاب الصناعتين ، ٢٢٢ .

وقـــوله :

يكـلفنى ذنب امرىء وتـركـته
كذى العر يكوى غيره وهو رائع (١٩)

وقول عبد قيس خفاف البرجمى :

واذا لقيت القــوم فاضرب فيهــم
حتى يروك طلاء أجــرب مهمل (٢٠)

وللشعراء الى جانب هذه الصور الابداعية طرائف بديعية ، استقوا مادتها من مناهل الطب ، ومنها : حسن التقسيم الذى أشرق به جبين قول الصنوبرى :

الشيب عندى والافلاس والجرب
هذا هلاك وذا شـؤم وذا عطب (٢١)

والتورية ، كما فى قول ابن دانيال الموصلى الكحال (ت ٧١١ هـ) :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى
وضــيعتى فيهــم وافـلاسـى

ما حـــال من درهــم انفــاقه
يأخـذه من أعيــن النــاس ؟! (٢٢)

---

(١٩) راجع الشعر والشـعراء ٨٨ وما بعدهـا ، والحيـوان للجاحظ ١٦/١ ، وعيار الشعر ، ٣٨ .

(٢٠) الأصمعيات ص ٢٣٠ .

(٢١) محاضرات الأدباء ٤٣٤/٢ .

(٢٢) المختار من شعره للصفدى ص ٩٢ ، وخزانة الأدب لابن حجة الحموى ٢٥٢ .

وحسن التعليل ، كما فى قول أبى الفتح البستى :

وقـد يلبس المـرء خـــز الثيـاب
ومن دونهـا حـالـة مضـــنيه

كـمن يكتسـى خـــده حمـرة
وعلتـــه ورم فـــى الـــريـه (٢٣)

والطباق ، ومن أمثلته ما جاء فى قول ابن دانيال فى « الموفق الكحال » فقد طابق بين اسمه ، وسلب صفته عنه : ـ وفيه تورية فى العين ـ :

طبيب غدا فى الكحل غير موفق
له حكمة تجنى على العين والسمع

اذا أرمـد وافـاه يشـكو تـألمـا
من العين داوى العين كالضرس بالقلع(٢٤)

الى غير هذه وتلك من ألـوان المحسـنات البديعيـة والزخارف اللفظية ٠٠ وأما الحكمة :

فقد أحسن الشعراء كل الاحسان حين ولوا وجوههم شطر الطب ، فانتزعوا من ميدانه درر الحكم وقلائد العبر وأكاليل الموعظة ، فأكبرها أصحاب الفكر الثاقب ، وشاد بها أولو الذوق المستنير ، حدّث ابن قتيبة عن محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة

---

(٢٣) ديوانه ٣٧٦ ، ويتيمة الدهر ٢٩٤/٤ ٠
(٢٤) المختار من شعر ابن دانيال ص ٩٣ ٠

يستحسن شعر عدى بن زيد - وفيه نظرات تأملية متعمقة فى الحياة والموت والأطباء والمرضى :

أين أهـل الديـار من قـوم نوح
ثم عـادٌ من بعـدهم وثمـود ؟

بينمـا هـم علـى الأسرة والأنـ
ـنماط أفضت الى التراب الخدود

ثم لـم ينقض الحـديث ولـكن
بعـد ذا الوعـدُ كـله والوعيـد

والأطبـاء كـلهم لحقـوقهم
ضـل عنهم سـعوُطهم واللـدود

وصحيح أضـحى يعـود مريضـا
وهـو أدنى للمـوت ممن يعـود

أخذه على بن الجهم فقال :
كـم من عليل قد تخطاه الـردى
فنجـا ومات طبيبه والعـود (٢٥)

وقال أبو العتاهية :
وقبـلك داوى المـريض الطبيب
فعـاش المـريض ومـات الطبيب

يخـاف على نفسـه من يتـوب
فكيف ترى حـال من لا يتوب (٢٦)

---

(٢٥) عيون الأخبار ٣١٧/٢ .
(٢٦) بهجة المجالس ٣٨٩/١ .

وقال الصيمرى (محمد بن اسحاق) :

كم مريض قد عاش من بعـد يأس
بعـد موت الطبيب والعـواد

قـد يصـاد القطـا فينجو سـليما
ويحـل القضـاء بالصـياد (٢٧)

واستحسن الراغب الأصفهانى قول الشاعر (أبى العتاهية):

ان الطبيـب بطبـه ودوائـه
لا يسـتطع دفـاع مقـدور أتى

ما للطبيب يمـوت بالـداء الذى
قد كان يبرىء مثله فيما مضى

هـلك المـداوى والمـداوى والذى
جلب الدواء وباعه ومن اشترى (٢٨)

وكان أبو العتاهية قد قال هذه الأبيات عند وفاة ابن ماسويه الطبيب الشهير ، مما يؤكد التماس الشعراء العبرة من وفيات الأطباء الذين يتصدون للأمراض فيصرعونها ، لتظفر بالفاعلية وقوة التأثير ، ومن ذلك قول محمود الـــوراق :

قـد قلـت لمـا قال لى قائـل
قد صـار بقـراط الى رمسـه

---

(٢٧) الحيـوان فى الأدب العربى ١٥٠/٣ .

(٢٨) محاضرات الأدباء ٤٣٢/٢ والأبيـات فى ديـوان أبى العتاهية ص ١٨ .

فــأين مـــا دوّن من كـــتبه
وجمعــه الأحجــار مع جســه ؟

لــم يغنـــه اذا حـــم مقـــداره
ولـــم يســاو العشر من فلســـه

هيهــات لا يدفـــع عن غيـــره
من كــان لا يدفــع عن نفســه (٢٩)

وقول المتنبى فى حكمة عميقة الأبعاد الفلسفية :

يمــوت راعى الضــأن فى جهله
ميتـــة جالينـــوس فى طبـــه

وغايــة المفـــرط فـــى ســـلمه
كغاية المفـــرط فى حـــربه (٣٠)

ولعل المتنبى نظر من طرف خفى الى قــول طــرفة ابن العبـــد :

أرى قبـــر نجــام بخيــل بماله
كقبر غــوى فى البطــالة مفســد (٣١)

« ولما مات ابن سينا من القولنج الذى عرض له قال فيه بعض أهل زمانه :

رأيت ابن سينا يعــادى الــرجال
وبالحبس مــات أخــس الممــات

---

(٢٩) بهجة المجالس ٣٨٩/١ وما بعدها .
(٣٠) ديوان المتنبى ٣٧/١ .
(٣١) البيت من الشعر والشعراء ص ١٠٩ .

فلـم يشـف مـا نالـه بالشــفا
ولـم ينـج من مـوتة بالنجـاة (٣٢)

والتمس الشعراء العبرة كـذلك من وفيـات بعض العظماء اثر علل باءت بالفشل حيالها حيل الأطباء ، كما فى قول أبى سعيد بن موفق الدين يعقوب :

قد كان نجـم الدين أيوب الذى
ملك البرية واستطال على الدول

فى صـحة بسـعوده حتـى عشـا
فى جسـمه داء فأعيتـه الحيـل

وصفت له الدنيـا وظـن بأنهـا
تبقـى أبـدا ففـاجاه الأجـل (٣٣)

وانتزع ابن زهـر الحفيد حكـمة رائعـة من كـتاب جالينوس « حيلة البرء » تمثلت فى قول ابن زهر :

حيـلة البـرء صـنعة لعليـل
يتـرجى الحيـاة أو لعليـله

فـاذا جـاءت المنيـة قـالت
حيـلة البرء ليس فى البرء حيلة (٣٤)

---

(٣٢) عيون الأنباء ص ٤٤٥ (قوله بالحبس : يريد انحباس البطن من القولنج الذى أصابه . والشفاء والنجاة يريد كتابى ابـن سينا ، وقصد بهما الجناس فى الشعر) .

(٣٣) عيون الأنبار ص ٦٠٠ .

(٣٤) نفح الطيب للمقرى ٢٤٨/٢ .

وما أبرع قول ابن نباتة :

نعلّـــل بالــدواء اذا مرضـــنا
وهل يشفى من المــوت الدواء ؟

ونختـــار الطبيب وهــل طبيب
يؤخــر مــا يقــدمه القضـــاء ؟

ومـــا أنفاســـنا الا حســـاب
ولا حركـــاتنـــا الا فنـــاء (٣٥)

ومن العبر المســتوحاة من ميــدان الطب والعــلاج والصحة والمرض قول الناشىء الانبارى (أبو العباس عبد الله بن محمد ت ٢٩٣ هـ) :

اذا المــرء أحمى نفسه كل شــهوة
لصـــحة أيـــام تبيـــد وتنفـــد

فمـــا باله لا يحتمى عن حــرامها
لصـحة مــا يبقى لــه ويخــلد (٣٦)

وقول الآخــر :
اذا المرء لم يترك طعـاما يحبـه
ولم ينه قلبـا غاويا حيــث يمما

قضــى وطرا منــه وغادر ســبة
اذا ذكرت أمثــالها تملأ الفمــا (٣٧)

---

(٣٥) محاضرات الادباء ٤٣٢/٢ .
(٣٦) بهجة المجالس ١٤٤/١ .
(٣٧) محاضرات الادباء ٥٢٧/٢ .

وقول الآخـر :

لا تشكون دهـرا صـححت بـه
ان الغنـــى فى صـحة الجسـم

هبك الخليقـة ، كـنت منتفعـا
بلـذاذة الدنيـا مع السـقم ؟ (٣٨)

وقول زياد بن منقذ التميمى :

وان قـراب البطن يكـفيك ملؤه
ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها

اذا سـد باب عنك من دون حاجة
فذرها لأخرى ليـّن لك بابهـا (٣٩)

ومن الشعراء من توج حكمته بأبعاد فلسفية وطاقات ذهنية عميقة الغور ، وان قرب ادراكها من متلقيها ، فمبدعها قد انتزعها من محيط لا يجهله المتلقى ألا وهو محيط الطب وما يحدق به ، من ذلك قول ابن الرومى :

عـــدوك من صـديقك مسـتفاد
فـــلا تسـتكثرن من الصـحاب

فـــان الـداء أول مـــا تـــراه
يـكون من الطعـام أو الشراب (٤٠)

---

(٣٨) عيون الأخبار ٣/٥٠ .
(٣٩) عيون الأخبار ٣/١٨٤ .
(٤٠) الكنز المدفون ص ٤٣٦ .

وقول الآخـر :

وما ينفع الجرباءَ قرب صحيحة
اليها ولكن الصـحيحة تجرب (٤١)

وما أعمق حكم المتنبى المنتزعة من الدائرة الطبية ، والتى منهـــا :

لعـل عتبـك محمود عـواقبه
وربما صحت الأجســام بالعلل (٤٢)

وقريب منه قول بعض الشعراء :

وربّت حـزم كان للسـقم عـلة
وعلة برء الـداء خبط المغفـل (٤٣)

ومنها (أى حكم المتنبى) :

أرى المتشاعرين غـرُوا بـذمى
ومن ذا يحمد الـداء العضـالا ؟

ومن يـك ذا فـم مـرٍّ مـريض
يجـد مرابـه المـــاء الـــزلالا (٤٤)

وحكمته التى تشير الى ما يعرف بعمى الألوان فى قامـوس الطـب فى العصر الحـــديث ، والتى تـأتى فى

---

(٤١) المرجع السابق ٢٧٧ .
(٤٢) زهر الآداب ٨٥٩/٢ .
(٤٣) عيون الأخبار ٢٧٣/٣ .
(٤٤) شرح ديوان المتنبى ٣٤٤/٣ .

تضاعيف قـــوله :

وما انتفاع أخـى الدنيا بنـاظره
اذا استوت عنده الأنوار والظلم!!(٤٥)

وما أوقع وأعمق قول القائل :

وعادة الجوع فاعلم عصمة وغنى
وقد يزيدك جوعا عادة الشـبع (٤٦)

وفى المثل العربى : « رب أكلة منعت أكلات » قـاله عامر بن الظرب العدوانى ، ونظمه شعرا فقال :

وربـــة أكـلة منعـت أخاهـــا
بلـــذة ســاعة أكـــلات دهـــر

وكـم من طـالب يسـعى لشــىء
وفيـه هلاكـه لو كـان يدرى (٤٧)

وما أجمل أن أختم هذه الباقة الحكمية الرائعة بهـذه الدرة الفـــريدة :

لـــكل داء دواء يســتطب بـــه
الا الحماقــة أعيت من يداويها (٤٨)

بمثل هذه الصور الذائعة ، وهذه الحكم الرائعة ، والعبر الفائقة والمواعظ الشائعة طلع علينا الشعراء من محيط الطب ، فلفتوا بذلك أنظارنا الى التلاحم الوجدانى بين الطب والأدب ، والى قيمة التجربة الشعرية وروعتها فى ميدان الطب ..

---

(٤٥) المرجع السابق ٤/٨٣ .

(٤٦) عيون الأخبار ٣/٢٢٢ .

(٤٧) أنظر المستقصى للزمخشرى ٢/٩٣ ، ٩٤ .

(٤٨) مختار العقد الفريد ص ١٣٦ .

خاتمـــــة البحـــث
وفهارســـــــــــه

خاتمـــة البحـث

لا شك أن نفـائس كثرا من جواهر كنـوز الأجـداد الأدبية لما نظفر بعد بصيارفتها ، وأن مكتبة الدراسات الأدبية فى حاجة ماسة الى احتضانها والزهو بها ، وأن هذا لا يتأتى الا بتنقيب الباحثين عنها ، فى صبر وأناة ، وتوطين النفس على بذل الجهد والاستهانة بالتعب ، وان اشتد ، فالحسناء لا يغليها المهر ، والمعاناة التى يعانيهـا الباحث فى الكشف عن درة أدبية ثمينة تعوضها روعـة الغاية ، ولذة الابتهاج باضافة لبنة الى صرح الدراسـات الأدبية السامق ، ولقد أصبح الوقوف عند حد البحـوث التقليدية ، وأخذ اللاحق من السابق دون اضافة ، ونقـل أفكار الغـير ومضامينهم ، أصـــبح كل ذلك مرذولا ، لأنه يوحى بالفقر الفكرى والاضمحلال العقلى ، وتوقف نمـــو البحث الأدبى ، وما كل ذلك الا غايـــة القانعين بالدون ، أو من الغيـــاب بالاياب ٠٠ وليست المعـــالم المطمورة فى تراثنا الأثنا الأدبى بالقليلة الهينة ، وانهـا لتهيب بالمشتغلين بالأدب أن يحتشـدوا لهـــا ، ليتنفس صبحها ، ويسفر وجهها ، وان أرهقهم ذلك من أمرهـم عســـرا ٠٠

وها أنذا بعد جهد جهيد ، ولأى شديد ، قد انتظـم بحول الله عقد بحثى « الطب فى الشعر العربى » وقـد تألقت فى سداه ولحمته الوحدة العضـــوية ، الى جانب وحدته الموضوعية ، وأفصـــح عن حقيقة طالمـــا غيبتها سحب الوهم ، هى صلاحية ميدان الطب للتنقيب والدرس الأدبى ، وما قوة التفاعل بين الشعر والطب وروعتـــه الا دليل صدق وشاهد عدل على هذه الحقيقة ٠٠

كذلك توصل البحث الى نتائج هامة ، من بينهـا : تنوع أفنان ثقافة الشاعر العربى ، واستيعـاب الشـعر العربى لـكل الأنماط الثقافيـة والتجارب الشعـورية ، وبراعة الشاعر العربى ودقته فى التقاط الصور الأدبيـة والفرائد الحكمية من ميدان الطب ، واقتباسه الألفـاظ والتراكيب من سجله ؛ واحتفال التجارب الشعورية المخلقة فى أرحام الطب بالأبعاد الانسانية . والعواطف المتدفقة ، والمشاعر النبيلة ، وأشتمالها لذلك على الصدق الفنى ؛ وتباين البواعث والعواطف فى هذه التجارب الشعرية ؛ ومن بينها : سبر أغوار نفوس المرضى والافصـــاح عن أطوائها ؛ التفــاعل الوجــدانى بين ذوى الأدواء ومن حولهم ، وتوفر الكثير من الشعر الذى جرى فرســـانه فى مضمار الطب على الابداع الفنى ، وتبلج الاحســاس بالذات عند الأطبــاء الرواد ؛ وامكان جمــع الشخص الواحد بين الطب والشعر ؛ ومن بينها : مغايرة صفـات المدح والهجاء فى الشـعر الطبى لصـفاتهما فى غيره ، للاختلاف الجوهرى فى الدوافع ؛ وطرافة النمط الأدبى ، المتمثل فى « الهجاء الرائى ، أو الرثا الهاجى » فى عالم الهجاء ؛ كذلك : التأكيد على ســبق الطب العربى الى أنماط علاجيـة ؛ ودحض الافتـراء بحداثة ميـلاد الطب العربى وصغر سنه ؛ وغير هذه وتلك من احتفـاء البحث بابراز الأبعاد الفنية الابداعية فى هذا الشعر ، والثقافة والمعرفة ، ومآثر الأجداد ومناقبهم .

والبحث بعد هذا كله قد تقصى هذا النوع من الشعر العربى واستقراه ، وضمته رقاقة ، وهو لذلك يعد بمثابة ديوان هذا الشعر ، حيث جمع ما تناثر منه فى عبـــاب الأمهات وبطون الدواوين .

وآمل أن تكون هذه الدراسة قد جلت صورة من أزهى صور أدبنا العربى وأنداها ، وأكثرها احتفالا بالتجارب الانسانية ٠٠ والله من وراء القصد ٠٠

« سبحان ربك - رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين »(١) ٠

---

(١) سورة الصافات : الآيات : ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ٠

فهـرس أهـم المراجـع

١ - أدب الكاتب : لأبى محمد بن قتيبـة • تحقيـق : محمد الدالى ، الطبعة الثانية • مؤسسة الرسالـة ١٩٨٥ م •

٢ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لابن عبد البر ، تحقيق : على محمد البجاوى • مكتبة نهضة مصر ومطبعتهـا •

٣ - أشجع السلمى : حياته وشعره : للدكتور خليـل بنيـان الحسون ، الطبعـة الأولى - بيروت - ١٩٨١ م •

٤ - الاصـابة فى تمييز الصحـابة : لابن حجـر العسقلانى ، تحقيق : على محمد البجـاوى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر •

٥ - الأصمعيات : لأبى سعيـد عبـد الملك بن قريب (الأصمعى) تحقيق : أحمـد محمـد شاكـر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة الرابعـة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م •

٦ - أعـلام العـرب والمسـلمين فى الـطب : د/على ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م •

٧ - أعلام النسـاء فى عالمى العرب والاسلام : لعمـر رضا كحالة ، الطبعة الثالثة - بيروت - ١٩٧٧م •

٨ - الأغانى : لأبى الفرج الأصفهانى ، طبعة الساسى، وطبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م بتحقيق : محمد أبى الفضل أبراهيم ٠

٩ - أمالى المرتضى : للشريف المرتضى ، تحقيق : محمد أبى الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى ، - الحلبى - ١٣٧٣ هـ ٠

١٠ - البرصان والعرجان والعميان والحولان : للجاحظ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، طبعة دار الرشيد للنشر ١٩٧٢ م ٠

١١ - بهجة المجالس وأنس المجالس : لابن عبد البر النمرى القرطبى ، تحقيق : محمد مرسى الخولى ، الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٨٢ م ٠

١٢ - تاريخ حكماء الاسلام : لظهير الدين البيهقى : نشر وتحقيق : محمد كرد على ، طبعة المجمع العلمى بدمشق ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م ٠

١٣ - جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس : للحميدى ، طبعة القاهرة ١٩٥٢ م ٠

١٤ - جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام : لأبى زيد القرشى ، تحقيق وشرح : د٠ محمد على الهاشمى ، طبعة السعودية ١٤٠١ هـ ٠

١٥ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة : لجلال الدين السيوطى ٠ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الأولى - الحلبى - ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م ٠

١٦ - الحيوان فى الأدب العربى : لشاكر هادى ، شاكر ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٥ م .

١٧ - خزانة الأدب : للبغدادى ، تحقيق : عبد السلام هارون ، طبعة : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٣٨٩ هـ .

١٨ - خزانة الأدب وغاية الأرب : لابن حجة الحموى ، طبعة : دار القاموس الحديث للطباعة والنشر .

١٩ - دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة : الفندى والشنتناوى وابراهيم زكى وعبد الحميد يونس ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

٢٠ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة : لابن حجر العسقلانى ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة بعابدين ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٢١ - ديوان الأخطل : تحقيق : فخر الدين قباوة ، الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٩ م .

٢٢ - ديوان الأعشى : طبعة دار صادر .

٢٣ - ديوان الامام الشافعى : جمع وتعليق : محمد عفيف الزغبى ، الطبعة ، الثالثة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٤ م .

٢٤ - ديوان البحترى : تحقيق وشرح : حسن كامل الصيرفى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .

٢٥ - ديوان البوصيرى : تحقيق : محمد سيد كيلانى ، الطبعة الثانية - الحلبى - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ٠

٢٦ - ديوان جرير : شرح محمد بن حبيب ، تحقيق : د/محمد أمين طه ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ٠

٢٧ - ديوان ديك الجن ، تحقيق : د/أحمد مطلوب وعبد الله الجبورى ، طبعة بيروت ١٩٦٤ م ٠

٢٨ - ديوان عنترة : تحقيق : محمد سعيد مولوى ، المكتب الاسلامى ١٤٠٣ هـ - ١٨٩٣ م ٠

٢٩ - ديوان مجنون ليلى : تحقيق وشرح : عبد الستار أحمد فراج ، طبعة مكتبة مصر ، الفجالة ٠

٣٠ - ديوان المعانى : لأبى هلال العسكرى ، طبعة : مكتبة القدسى بالقاهرة ٠

٣١ - ديوان النابغة الذبيانى ، تحقيق : كرم البستانى ، دار صادر - بيروت ٠

٣٢ - ديوان أبى نواس - مجموعة ديوان العرب - دار صادر ١٩٦٢ م ٠

٣٣ - ديوان ابن نباتة المصرى ، تحقيق : محمد القلقيلى، الطبعة الأولى ، دار احياء التراث العربى ٠

٣٤ - ذيل الأمالى والنوادر : لأبى على القالى ، طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م ٠

٣٥ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا : لهشاب الدين

الخفاجي ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو
الطبعة الأولى - الحلبى - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ٠

٣٦ - زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لابن قيم الجوزية، تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ، الطبعة الثامنة ، مؤسسة الرسالة - بيروت - والمنار الاسلامية - الكويت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ٠

٣٧ - زهر الآداب وثمر الألباب : للحصرى القيروانى ، تحقيق وشرح : على محمد البجاوى ، الطبعة الأولى - الحلبى - ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م ٠

٣٨ - الزهرة : لأبى بكر محمد بن داود الأصبهانى ، تحقيق : د/ابراهيم السامرائى ، الطبعة الثانية مكتبة المنار - الاردن - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ٠

٣٩ - شرح ديوان الحماسة : للمرزوقى ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١هـ - ١٩٥١ م ٠

٤٠ - شرح ديوان المتنبى : عبد الرحمن البرقوقى ، طبعة بيروت ١٩٨٣ م ٠

٤١ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق : د/احسان عباس ، طبعة الكويت ١٩٦٢ م ٠

٤٢ - الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، طبعة ليدن ١٩٠٤ م وطبعة دار المعارف بمصر بتحقيق : أحمد محمد شاكر ١٩٦٦ م ٠

٤٣ - الصحاح : للجوهرى ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية - السعودية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ٠

٤٤ - الطب العـربى : للمستشرق الدكتـور ادوارد جى براون ، ترجمة وتعليق : د/داود سليمان علـى ، طبعة بغداد ١٩٦٤ م ٠

٤٥ - طوق الحمـامة فى الالف والألاف : لابن حـزم الأندلسى ، تحقيق : فاروق سعـد المحـامى ، طبعة بيروت ١٩٧٢ م ٠

٤٦ - أبـو العتاهية : أشعـاره وأخبـاره ، تحقيـق : د/شكرى فيصل ، طبعة دمشق ١٣٨٤ - ١٩٦٤ م ٠

٤٧ - العمدة فى صناعة الشعر ونقده : لابن رشـيق القيروانى ، تحقيـق : محمـد محيـى الـدين عبد الحميد ٠ الطبعة الثانية - المكتبة التجـارية الكبرى - ١٩٥٥ م ٠

٤٨ - عيـار الشـعر : لابن طباطبا العـلوى ، تحقيق : د/طـه الحاجرى ، د/محمـد زغلول سـلام ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٩٥٦ م ٠

٤٩ - عيون الأخبار : لابن قتيبة ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م ٠

٥٠ - عيون الأنباء فى طبقـات الأطبـاء : لابن أبى أصيبعة ، شرح وتحقيق : د/نزار رضا ، بيروت ٠

٥١ - الغيث المسجم فى شرح لابن العجم : لصلاح الدين الصفدى ، الطبعة الأولى - بيروت - ١٩٧٥ م ٠

٥٢ - أبو الفتح البستى : حياته وشعره ، د/محمد مرسى الخولى ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس ١٩٨٠ م ٠

٥٣ - الفهرست : لابن النديم ، طبعة دار المعرفة ببيروت .

٥٤ - القاموس المحيط : للفيروزبادى ، طبعة مصر ١٣٣٠ هـ .

٥٥ - قلائد العقيان : للفتح بن خاقان ، طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ .

٥٦ - الكامل فى اللغة والأدب : للمبرد ، تعليق : محمد أبى الفضل ابراهيم ، طبعة دار نهضة مصر .

٥٧ - كتاب الحيوان : للجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، طبعة : المجمع العلمى العربى الاسلامى ١٩٤٩ م .

٥٨ - كتاب الخيل : لأبى عبيدة بن المثنى ، الطبعة الثانية - الهندية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م باشراف : شرف الدين أحمد .

٥٩ - كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر : لأبى هلال العسكرى ، تحقيق : د/مفيد قميحة ، الطبعة الأولى - بيروت - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٦٠ - الكنز المدفون فى الفلك المشحون : للسيوطى ، الطبعة الرابعة - الحلبى - ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ .

٦١ - لسان العرب : لابن منظور المصرى ، طبعة دار صادر - بيروت .

٦٢ - لمحات عن التراث الطبى العربى : د/مرسى محمد عرب ، طبعة الاسكندرية ١٩٧٥ م .

٦٣ ـ المثـل السـائر فى أدب الـكاتب والشـاعر : لابن الأثير ، تحقيق : د/أحمد الحونجى ، د/بدوى طبانة ، طبعة : مكتبة نهضة مصر ٠

٦٤ ـ مجمع الأمثال : للميدان ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة : دار القلم ـ بيروت ٠

٦٥ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشـعراء : للراغب الأصبهانى ، دار مكتبة الحياة ٠

٦٦ ـ مختـار العقـد الفريد لابن عبـد ربـه ، تصحيح ومراجعة الأستاذ محمد محمود ، الطبعة الثانية ، المكتبة المحمـودية التجـارية بمصر ١٣٨٦ ـ ١٩٧٠ م ٠

٦٧ ـ المختار من شـعر ابن دانيـال : لصـلاح الدين الصفدى ، تحقيق وتعليق : محمد نايف الديلمى ، طبعة الموصل ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

٦٨ ـ المستطرف فى كل فن مسـتظرف : للأبشـيهى ، تحقيق : د/مفيد قميحة ، الطبعة الأولى ـ بيروت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ٠

٦٩ ـ المستقصى فى أمثال العرب : للزمخشرى ، الطبعة الثانية ـ لبنان ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ٠

٧٠ ـ معجم الشعراء ، للمرزبانى ، تحقيق : عبد الستار فـراج ، طبعة الحلبى ١٩٦٠ م ٠

٧١ ـ المعمرون والوصايا : لأبى حـاتم السجسـتانى ، عبد المنعم عامر ، طبعة الحلبى ١٩٦١ م ٠

٧٢ ـ مفتاح السعادة ومصباح السـيادة : لطـاش كبرى زاده ، الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٩٨٥ م ٠

٧٣ - المفضليات : للمفضل الضبى ، تحقيق وشرح : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، طبعة : المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ م .

٧٤ - من أعلام الطب العربى : لأبى الفتوح التوانسى ، سلسلة : مذاهب وشخصيات .

٧٥ - الموجز فى الطب : لابن النفيس ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوى ، د/أحمد عمار ، طبعة : المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٧٦ - الموشح : للمرزبانى ، تحقيق : على محمد البجاوى ، طبعة دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ م .

٧٧ - الموشى ، أو الظرف والظرفاء ، لابن يحيى الوشاء ، تحقيق : كرم البستانى ، طبعة بيروت .

٧٨ - نظم العقيان فى أعيان الأعيان ، للسيوطى ، تحرير : د/فيليب حتى ، طبعة ١٩٢٧ م .

٧٩ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : لأحمد المقرى ، المطبعة الأزهرية ١٣٠٢ هـ .

٨٠ - نكت الهميان فى نكت العميان : للصفدى ، المطبعة الجمالية بمصر ١٩١١ م .

٨١ - نهاية الأرب : للنويرى ، طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م .

٨٢ - الوساطة بين المتنبى وخصومه : للقاضى الجرجانى تصحيح وشرح : أحمد عارف الزين ، طبعة صبيح بالأزهر .

٨٣ - يتيمة الدهر : للثعالبى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧ م .

فهــرس محتــوى الكـتاب

I. S. B. N. 977 — 00 — 1096 — 0

رقم الايداع بدار الكتب ٩٧٨١ لسنة ١٩٩٠

مطبعة

ابناء وهبه حسان

٢٤١ (أ) ش الجيش ـ القاهرة

ت : ٩٢٥٥٤٠